



568h1
519075

حديقة الخريف
بنداسه
محرره
بنداسه

رسالة في مداواة النفوس . وتهذيب الاخلاق
والزهد في الرذائل تأليف الامام الدكتور
الوزير الحافظ الحجة امام الفقاد

ابي محمد علي بن احمد بن

سعيد بن حزم الاندلسي

القاهري رحمه الله

تعالى وعنايته

امين

ووجد بطرة الاصل بعد ما تقدم ما اراه :
عما عني بجمعه برسم مطالمة السيد الفقير الى رحمة
ربه الكريم المقر العالي الناصري محمد ولد المقر
المرحوم (يله الله نهاية الآمال وختم له بصالح
الاعمال بمحمد وآله)

(طبع على نفقة الفاضل)

(الشيخ مصطفى القباني الدمشقي سنة ١٣٢٣ هجرية)

مطبعة النيل بشارع محمد علي بمصر

اليه ما أتميت فيه نفسي واجهدتها فيه واطاكت فيه فذكرني
 فإأخذه عفواً وأهديته اليه هنيئاً فيكون ذلك أفضل له من
 كنوز المال وعقد الألاك إذا تدبره ويسره الله تعالى
 لاستعماله وأنا راج في ذلك من الله تعالى أعظم الأجر لئني
 في نفع عباده وأصلاح ما فسد من أخلاقهم ومداواة عال
 نفوسهم وبالله تعالى استعين
 فصل في مداواة النفوس وأصلاح الأخلاق الدمية
 لذة العاقل يتميز به ولذة العالم بطله ولذة الحكيم بحكمته
 ولذة المجتهد لله عز وجل واجتهاده اعظم من لذة الآكل
 بأكله والشارب بشربه والواطي بوطئه والكاسب بكسبه
 واللاعب بلعبه والأمر بأمره وبرهان ذلك أن الحكيم
 والعاقل والعالم والعاقل واجدون لسائر اللذات التي سمينها كما
 يجدها النمل فيها ويحسونها كما يحسها القمل عليها وإنما
 يحكم في الشئيين من عرفها لا من عرف أحدهما ولم يعرف
 الآخر إذا تعقبت الأمور كلها فسدت عليك وانتهت في أخذ
 فكرتك بأضغلال جميع أحوال الدنيا إلى أن الحقيقة انما هي
 العمل للأخرة فقط لأن كل عمل ظهر به فمقياه حزن أما

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم رب يسر يا كريم

قال أبو محمد بن علي بن أحمد بن سعيد بن حزم التميمي
 لا تدلسي رحمه الله الحمد لله على عظيم منته وصلّى الله على
 محمد عبده وخاتم أنبيائه ورسوله وأبرأ إليه تعالى من الحول
 والقوة واستعينه على كل ما يصعب في الدنيا من جميع المخاوف
 والمكاره ويخلص في الأخرى من كل هول ومضيق (أما
 بعد) فإني جمعت في كتابي هذا معاني كثيرة أفادتها وأهب
 التميز تعالى بمرور الأيام وتغلب الأحوال بما منحني عز وجل
 من التهم بتصارييف الزمان والأشراف على أحواله حتى
 انتفت في ذلك أكثر عمري وآثرت تقييد ذلك بالمطالعة له
 والفكرة فيه على جميع اللذات التي تيسل إليها أكثر النفوس
 وعلى الأزدباد من فضول المال وذممت كل ما بدرت من ذلك
 بهذا الكتاب لينفع الله تعالى به من يشاء من عباده ممن يصل

من لا يريد المال ويؤثر عدمه على وجوده ككثير من الانبياء عليهم السلام ومن تلامهم من الزهاد والفلاسفة . وفي الناس من يغضب اللذات بطبعه ويستقص طالبها كمن ذكرنا من المؤثرين فقد المال على اقتنائه . وفي الناس من يؤثر الجهل على العلم كما ترى من زرى من العامة . وهذه هي اغراض الناس التي لاغرض لهم - سواها . وليس في العالم مذكان الى ان يتناهى احد يستحسن الهم ولا يريد الا طرحه عن نفسه . فلما استقر في نفسي هذا العلم الرفيع وانكشف لي هذا السر العجيب . وانار الله تعالى امسكري هذا الكنز العظيم . بحثت عن سبيل موصلة على الحقيقة الى طرد الهم الذي هو المطلوب النفيس الذي اتق جميع انواع الانسان الجاهل منهم والعالم والصالح والطالح على السعي له فلم اجدها الا التوجه الى الله عز وجل بالعمل الآخرة . والافانما طلب المال طلابه ليطردوا به هم الفقر عن انفسهم . وانما طلب الصوت (١) من طلبه ليطرد به عن نفسه هم الاستعلاء عليها . وانما طلب اللذات من طلبها ليطرد بها عن نفسه هم قوتها . وانما طلب العلم من طلبه ليطرد

(١) الصوت كالصيت والصات والصينة الذكر الحسن

بذهابه عنك واما بذهابك عنه ولا بد من احد هذين البيتين الا العمل لله عز وجل فمقباه على كل حال سرور في عاجل وآجل . اما الما جل فقلة الهم بما يهتم به الناس وانك معظم من الصديق والمدود . واما في الآجل فالجنة . تطلبت غرضا يستوي الناس كلهم في استعسانه وفي طلبه فلم اجده الا واحدا وهو طرد الهم فلما تدبرته علمت ان الناس كلهم لم يستووا في استعسانه فقط ولا في طلبه فقط . ولكن رأيتهم على اختلاف اهوائهم ومطالبهم ومصاداتهم لا يتحركون حركة اصلا الا فيما يرجون به طرد الهم ولا ينطقون بكلمة اصلا الا فيما يمانون به ازاحته عن انفسهم . فن غطى وجهه - بيلاه - ومن مقارب للخطاه - ومن مصيب وهو الاقل . فطرد الهم مذهب قد اتفقت الامم كلها مذ خلق تعالى الله العالم الى ان يتناهى عالم الابتداء ويعاقبه عالم الحساب على ان لا يعتمدوا بدميهم شيئا - سواه . وكل غرض غيره ففي الناس من لا يستحسنه اذ في الناس من لا دين له فلا يعمل للآخرة . وفي الناس من اهل الشر من لا يريد الخير ولا الا من ولا الحق . ومن الناس من يؤثر الخول بهواه وارادته على بعد الصيت . وفي الناس

بذلك فهو غير مؤثر في ما يطلب . ورأيت ان قصد بالاذى
 سر وان نكته نكبة سر . وان تعب فيها سلك فيه سر . فهو
 في سرور متصل ابدا وغيره بخلاف ذلك ابدا . فاعلم انه
 مطلوب واحد وهو طرد الهم وليس اليه الا طريق واحد
 وهو العمل لله تعالى فاعدا بهذا فضلال وسخف . لا تبدل
 نفسك الا فيما هو اعلى منها . وليس ذلك الا في ذات الله
 عز وجل . في دعاء الى حق . وفي حماية الحرم . وفي دفع
 هوان لم يوجبه عليك خالك تعالى . وفي نصر مظلوم . وبأذل
 نفسه في غرض دنيا كبائع اليافوت بالحصا . لامرودة لمن
 لادين له . الماقل لا يرى لنفسه ثمة الا الجنة . لا بليس في ذم
 الرياء حباله . وذلك انه رب ممتنع من فعل خير خوف ان
 يظن به الرياء

باب عظيم من ابواب العقل والراحة
 وهو طرح المبالاة بكلام الناس واستعمال المبالاة بكلام
 الخالق عز وجل بل هو العقل كله والراحة كلها . من قدر
 انه يلم من طعن الناس وعيهم فهو مجنون . من حقق النظر
 وراض نفسه على السكون الى الحقائق . وان ألها في أول

به عن نفسه هم الجهل . وانما هشا الى سماع الاخبار ومحادثة الناس
 من يطلب ذلك يطرد بهامن نفسه التوحد ومغيب احوال
 العالم عنه . وانما اكل من اكل وشرب من شرب ونكح من
 نكح وليس من ليس ولمب من لمب وكثر من كثر وركب
 من ركب ومشى من مشى وتودع من تودع لطاردوا عن
 انفسهم اضداد هذه الافعال وسائر الهموم . وكل ما ذكرنا
 لمن تدبره هموم حادثة لا بد لها من عوارض تدرض في خلالها
 وتقدر ما يتعذر منها وذهاب ما يوجد منها والعجز عنه لبعض
 الآفات الكثيرة وايضا سؤشح (١) بالحصول على ما حصل عليه
 من ذلك من خوف منافس او طعن حاسد او اختلاس واغيب
 او اقتناء عدو مع الذم والاثم وغير ذلك . ووجدت العمل
 للآخرة سالما من كل عيب خالصا من كل كدر . موصلا الى
 طرد الهم على الحقيقة . ووجدت العامل للآخرة ان امتعن
 بمكروه في تلك السبيل لم يهتم بل يسر اذا رجاؤه في عاقبة
 ما ينال به عون على ما يطلب وزايد في الغرض الذي يقصد .
 ووجدته ان عاقبه عما هو بسببها عائق لم يهتم اذ ليس مؤاخذا

(١) هكذا في الاصل النقول عنه ولم يظهر توجيه لمصحة العبارة

والذائل والطاعات والمماصبي الا نفار النفس وانسها فقط .
 فالسميد من أنتت نفسه بالنفائل والطاعات ونفرت من
 الرذائل والمماصبي . والشقي من أنتت نفسه بالذائل والمماصبي
 ونفرت من الفضائل والطاعات . وليس هاهنا الا صنع الله
 تعالى وحفظه . طالب الاخرة متشبه باللائكة . وطالب الشر
 متشبه بالشياطين . وطالب الصوت والغلبة متشبه بالسباع
 وطالب اللذات متشبه بالبهائم . وطالب المال لعين المال لا
 النفقة في الواجبات والنوافل المحمودة اسقط وأذل من ان
 يكون له في شيء من الحيوان شبه . ولكنه يشبه المذنورات
 في الكهوف في المواضع الوعرة لا يفتنع بها شيء من الحيوان .
 الماقل لا يقتبط بصفة يفوقه فيها سبع أو بهيمة أو جماد .
 وانما يقتبط بتمدده في القضيـلة التي ابانه الله بها عن السباع
 والبهائم والجمادات وهي التميز الذي يشارك فيه الملائكة .
 فمن سر بشجاعته التي يضمها في غير موضعها لله تعالى . فليعلم
 ان النمر اجرامته . وان الاسد والذئب والقيـل أشجع منه . ومن
 سر بقوة جسمه فليعلم ان البغل والثور والقيـل أقوى منه
 جسماً . ومن سر بحمله الاثقال فليعلم ان الحمار أحمل منه .

صدمة كان اغتباطه بدم الناس اياه أشد وأكثر من اغتباطه
 بمدحهم اياه . لان مدحهم اياه ان كان بحق وبلغه مدحهم له
 أسرى ذلك فيه المـجب فافسد بذلك فضائله . وان كان باطل
 فبلغه فسر فقد صار مسروراً بالكذب . وهذا تقص شديد .
 واما ذم الناس اياه فان بحق فبلغه فربما كان ذلك سبباً الى تجنبه
 ما يصاب عليه وهذا حظ عظيم لا يزهد فيه الا نافس . وان XXX
 كان باطل ففسر اكتسب فضلاً زائداً بالحلم والصبر وكان
 مع ذلك غائماً لانه يأخذ حسنات من ذمه بالباطل فيحظى
 بها في دار الجزاء أودج ما يكون الى النجاة بأعمال لم يتعب
 فيها ولا تكلفها . وهذا حظ رفيع لا يزهد فيه الا مجنون .
 واما ان لم يبلغه مدح الناس اياه فكلادهم وسكونهم سواء .
 وليس كذلك ذمهم اياه لانه غائم للاجر على كل حال بلمه ذمهم
 او لم يبلغه . ولو لا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في التنا
 الحسن : ذلك عاجل يشري المؤمن لوجب ان يرغب الماقل
 في الذم بالباطل أكثر من رغبته في المدح بالحق ولكن اذ جاء
 هذا القول فانما تكون البشري بالحق لا بالباطل فانما تجب
 البشري بما في المدح لا بنفس المدح . ليس بين الفضائل

ومن سر بسرعة عدوه . فليعلم ان الكلب والارنب أسرع عدوا منه ومن سر بحسن صوته فليعلم ان كثيراً من الطير أحسن صوتاً منه . وان أصوات الزامير الذ وأطرب من صوته . فاي غر وأى سرور في ما تكون فيه هذه البهائم متقدمة عليه . لكن من قوي تمييزه واتسع علمه وحسن عمله فليتنبط بذلك . فانه لا يتقدمه في هذه الوجوه الا الملائكة وخيار الناس . قول الله تعالى (وأما من خاف مقام ربه ~~لا~~ ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى) جامع لكل فضيلة لان نهى النفس عن الهوى هو ردها عن الطبع النقيض وعن الطبع الشهواني لان كليهما واقع تحت موجب الهوى فلم يبق الا استعمال النفس للنطق بالموضوع فيها الذي به بانت عن البهائم والحشرات والسباع (قول) رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي استوصاه لا تغضب وأمره عليه السلام ان يحب المرء نفسه . ما يحب نفسه . بما مان لكل فضيلة . لان في نهيه عن الغضب ردها عن ذات القوة الغضبية عن هواها وفي أمره عليه السلام ان يحب المرء نفسه ما يحب نفسه ردها عن القوة الشهوانية وجمع لازمه العدل الذي هو

فائدة النطق بالموضوع في النفس الجامدة

فصل في العلم

لولا يمكن من فضل العلم الا ان الجهال بهابونك ويحبونك وان العلماء يحبونك ويكرمونك . لكان ذلك سبباً الى وجوب طلبه . فكيف بسائر فضائله في الدنيا والآخرة . ولولا يمكن من نقص الجهل الا ان صاحبه يحسد العلماء ويتبطه نظر ائمه من الجهال . لكان ذلك سبباً الى وجوب الترارعه . فكيف بسائر رذائله في الدنيا والآخرة . لولا يمكن من فائدة العلم والاشتغال به الا انه يقطع المشتغل به عن الوسوس المضنية ومطارد الآمال التي لا تفيد غير الهم وكفاية الافكار المؤلمة للنفس لكان ذلك أعظم داع اليه . فكيف وله من الفضائل ما يطول ذكره . ومن أقفاهما ذكرنا مما عليه طالب العلم وفي مثله أتعب ضعفاء الملوك أنفسهم فتشاغلوا عما ذكرنا بالشطرنج والترو والخر والانغاني وركض الدواب في طلب الصيد وسائر الفضول التي تمود بالفسرة في الدنيا والآخرة . لو تدبر العالم في مرور ساعاته ماذا كفاه العلم من الدل بتسلط الجهال ومن الهم بمغيب الحقائق عنه ومن التبطه بما قد بان له وجهه من

الامور الخفية عن غيره زاد حمدا لله عز وجل وغبطة بما لديه من العلم ورغبة في المزيد منه . من شغل نفسه بادنى العلوم وترك اعلاها وهو قادر عليه كان كزراع الذرة في الارض التي يجود فيها البر وكفارس الشعراء (١) حيث يزكو النخل والزيتون ونشر العلم عند من ليس من اهله . فسد لهم كاطمامك العسل والحلواء من به احتراق وحى وكثيبك المسك لمن به صداع من احتدام الصغراء . الباخل بالعلم اليوم من الباخل بالمال لان الباخل بالمال اشفق من فناء ما بيده والباخل بالعلم يخجل بما لا يفنى على النفقة ولا يفارقه مع البذل . من مال بطبعه الى علم ماوان كان ادنى من غيره فلا يشغلها بسواه . فيكون كفارس النارجيل بالاندلس وكفارس الزيتون بالهند وكل ذلك لا ينبغي . اجل المعلوم ما قربك من خالقك تعالى وما اعانك على الوصول الى رضاه . انظر في المال والصحة الى من دونك . وانظر في الدين والعلم والفضائل الى من فوقك . المعلوم الغامضة كاللدواء القوي يصلح الاجساد القوية وبهلك الاجساد الضعيفة . وكذلك

(١) الشعراء بوزن حراء شجرة من الخشب ليس لها ورق ولها

حطب تحرس عليها الابل حرصا شديدا تخرج عبدان شدا اذا له لسان

العلوم الغامضة تزيد العقل القوي جودة وتصفية من كل آفة . وهلاك ذا العقل الضعيف . من النوص على الجنون . والغاصه صاحبه على العقل . لكان احكم من الحسن البصري واطلاطون الايني وبرزجهر القارسي . وقف العقل عند انه لا ينفع ان لم يؤيد بتوفيق في الدين او يسعد في الدنيا . وقف العلم عند الجهل بصفات الباري عز وجل . لا آفة على العلوم واهلها اضر من الدخلاء فيها ومن غير اهائها فانهم يحلون ويظنون لهم يعلمون ويفسدون ويظنون انهم يصلحون . من اراد خير الآخرة وحكمة الدنيا وعدل السيرة والاحتواء على محاسن الاخلاق كلها واستحقاق الفضائل بأسرها فليقتد بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وليستعمل اخلاقه وسيره . ما لم يكنه . اعاننا الله على الانتساء به بمته آمين . غاضي اهل الجهل مرتين من عمري (احداهما) بكلامهم فيما لا يحسنونه ايام جهلي (والثانية) بسكوته عن الكلام بحضرتي فهم ابداسا كتون عما ينفعهم . ناطقون فيما يضرهم . وسرني اهل العلم مرتين من عمري (احداهما) بتعليمي ايام جهلي (والثانية) بمذاكرتي ايام علمي من فضل العلم والزهد في الدنيا انها لا يؤتيها الله عز وجل

مؤ فصل في الاخلاق والسير

احرص على ان توصف بسلامة الجانب . وتحفظ من ان توصف بالدهاء . فكثر التخطئون منك حتي ربما اضر ذلك بك وربما قتلك . وطن نفسك على ما تكره . يقل همك اذا اناك ولم تستضر بتوطينك اولا . وبمظم سرورك وتضاعف اذا اناك ما تحب مما لم تكن قدرته اذا تكررت المصوم . سقطت كلها . الفادر بنى بالحدود . والوفي يقدر بالحدود . والسعيد كل السعيد في دنياه من لم يضطره الزمان الى اختبار الاخوان . لا تفكر فيمن يؤذيكَ فانك ان كنت مقبلا فهو هالك وسعدك بكتيك . وان كنت مدبرا فكلا احد يؤذيكَ طوبى لمن علم من عيوب نفسه اكثر مما يعلم الناس منها . الصبر على الجفاء ينقسم ثلاثة اقسام \times قصبر عن يقدر عليك \times ولا تقدر عليه . وصبر عن تقدر عليه ولا يقدر عليك . وصبر عن لا تقدر عليه ولا يقدر عليك . فالاول ذل ومهانة وليس من الفضائل والرأي لمن خشي ما هو اشد مما يصبر عليه التاركة والمباعدة . والثاني فضل وبر وهو الحلم على الحقيقة وهو الذي يوصف به الفضلاء . والثالث : ينقسم

الا اهلها ومستحقها . ومن نقص احوال الدنيا من المال والصوت ان اكثر ما يفتان في غير اهلها وفيمن لا يستحقها . من طلب الفضائل لم يسار الا اهلها ولم يرافق في تلك الطريق الا اكرم صديق . اهل المواساة والبر والسدق وكرم المشيرة والصبر والوفاء والامانة والحلم وصفاء الضمائر وصحة المودة ومن طلب الجاه والمال والذات لم يسار الا امثال الكلاب الكلبة والتمالب الخالبة ولم يرافق في تلك الطريق الا كل عدو (١) المعتقد خيث الطيبة \times منفعة العلم في استعمال الفضائل عظيمة وهو انه يعلم حسن الفضائل فياتيها ولو في الندرة . ويعلم قبح الرذائل فيجتنبها ولو في الندرة . ويستمتع الشاء الحسن فيرغب في مثله . والثناء الرديء فينفر منه . فعلى هذه المقدمات وجب ان يكون للعلم حصه في كل فضيلة . وللجهل حصه في كل رذيلة . ولا ياتي الفضائل من لم يعلم الا صافي الطبع جدا \times فاضل التركيب \times وهذه منزلة خص بها النبيون عليهم الصلاة والسلام لان الله علمهم الخير كله دون ان يتعلموه من الناس

(١) كذا الاصل ولعل الصواب من المعتقد الخ

بان تجعله اليوم فان من قليل الاعمال يجتمع كثيرها وربما
 انجز امرها فبطل الكل . ولا تحقر شيئاً مما ترجوه تنقيل
 ميراثك يوم اليمت ان تجعله الآن وان قل فانه يحط عنك
 كثيراً لو اجتمع القذوب بك في النار . لوجع والقر والنكبة
 والخوف لا يحس اذاها الا من كان معها ولا يعاها من كان
 خارجاً عنها ثم وفساد الرأي والمار ولا تم لا يعلم فبعها الا من
 كان خارجاً عنها وليس بر . من كان داخلها فيها . الامن والصحة
 والتي لا يعرف حقها الا من كان خارجاً عنها . وليس يعرف
 حقها من كان فيها . وجودة الرأي والفضائل وعمل الآخرة
 لا يعرف فضلها الا من كان من اهليها ولا يعرفه من لم يكن
 منها **الاول** من يرهد في القادر من غدر له القادر . واول من لا
 يفت شاهد الزور من شهد له به . واول من تهون الزانية في
 عينه لدي رفي بها . مارينا شيا فسد قعاد الى صحة الا بعد
 التي فكيف بدماغ يتولى عليه فساد السكر كل ليلة . وان
 عدلا رب لصاحبه تعجيل سادته كل ليلة لمقل ينبغي ان يهتم .
 قد يحس العاقل بتدبيره ولا يجوز ان يدعد الاحق بتدبيره .
 لانني اضر على السلطان من كثرة المفرغين حواله . فالحالزم

قسمين اما ان يكون الجناء ممن لم يقع منه الا على سبيل القاطط
 ويعلم قبح ما أتى به ويندم عليه . فالصبر عليه . فصل وفرض
 هو حلم على الحقيقة . واما من كان لا يدري مقدار نفسه
 ويظن ان لها حقاً يستطيل به فلا يندم على ما سلف منه .
 فالصبر عليه ذل للصابر وافساد للصبور عليه . لانه يزيد استشرار
 والمقارضة له سخف والصواب اعلامه بانه كان ممكناً ان
 ينتصر منه وانه انما ترك ذلك استرذالا له فقط وصيانة عن
 مراجعته ولا يزداد على ذلك . وما جواب السفلة فليس
 جوابه الا النكال وحده . من جالس الناس لم يعدم مما يؤلم
 نفسه وانما يندم عليه في معاده وغيظاً ينفج كبده . وذلا
 ينكس همته **الخامس** الظن . بعد بين خاطهم ودخلهم . والذين الراحة
 والسرور والسلامة في الافتراء عنهم ولكن اجمعهم كالنار
 تدفأ بها ولا تخاف طها . لا تحقر شيئاً من عمل غد لان تحقته (١)

(١) قوله لا تحقر شيئاً الخ هكذا في الاصل ولا معنى لهذه العبارة
 على هذه الصفة واظهر انه سقط منها شيء . مع تحريف في ابني منها
 وصوابها والله اعلم هكذا (لا تؤخر عمل اليوم الى غد الخ وكذا قوله
 ولا تحقر شيئاً مما ترجوه ولا تؤخر شيئاً الخ تأمل

وورذالة ومعصية . والسخط بما ظلمت فيه او اخذته بغير حقه
 ظلم مكررو . ولدم جزاء ذلك لا الحمد لانك انما تسفل مال غيرك
 على الحقيقة لامالك . واعطاء الناس حقوقهم مما عندك ليس
 جوداً ولكنه حق . حمد الشجاعة بذل النفس للدوت عن
 الدين و الحریم او عن الجار المضطهد وعن المستجير المظلوم
 وعن المضحية ضلماً في المال والعرض وسائر سبيل الحق سواء
 قل من يمرض اوكثر . والصبر عما ذكرنا جبين وخور .
 وبذلها في عرض الدنيا هور وحق . وحق من ذلك من بذلها في
 المنع من الحقوق والواجبات قبلك او قبل غيرك وحق من هؤلاء
 كلهم قوم شاهدهم لا يدرون فيما يبذلون انفسهم فتارة قتالون
 زيدا عن عمرو وتارة قتالون عمروا عن زيد ولعل ذلك يكون
 في يوم واحد فيمضون للمهلك بلا معنى فيقتلون لي الناس
 او يغفرون الي المار . وقد انذر بهؤلاء رسول الله صلى الله عليه
 وسلم في قوله : يا بني على الناس زمان لا يدري القاتل فيم قتل
 ولا المقتول فيم قتل . حمد العفة ان تمض بعرك وجميع جوارحك
 عن الاجسام التي لا تحل لك فاعدا هذا فهو عمر . وما نقص
 حتى يحسك عما حل الله تعالى فهو ضعف وعجز . حمد العدل

يشعاهم بما لا يظلمهم فيه فان لم يفعل شئونه بما يظلمونه فيه .
 مقرب أعدائه قاتل نفسه . السهول بروم زي . والا كدهر
 وقلة الا بساط سنار جعلها . الخيال الدين مكنتهم الدنيا امام
 جهلهم . ثق بالثدن ون كان على غير دينك . ولا تثق
 بالمستخف وان اظهر انه على دينك . من استخف بحرمات
 الله تعالى فلا تامة على شئ . تشفق عليه . وجدت الشاركين
 مارواحهم اكثر من المشركين باموالهم . وعلة ذلك طليعة في
 البشر . انما تأنس النفس بالنفس . فلما الجسد قد تنقل بروم
 به . ودليل ذلك استعجال المرء بدفن حبيبه اذا فارقه نفسه
 واسفه لذهاب الدنس ون كانت الجنة حاضرة بين يديه . لم
 ار لا يلبس اصيد من كلين القاهما على السعة دعائه (احدهما)
 اعتذار من اساء بان فلانا اساء قباء (والثانية) سئل الالسان
 ان يسي اليوم لانه قد اساء أمس . بذل الواجبات فرض .
 وبذل ما فضل عن القوت جود . والاشار على النفس من
 القوت بما لا تهلك على عدمه فضل . ومنع الواجبات حرام .
 ومنع ما فضل عن القوت بحل وشع . والمنع من الاشار ببعض
 القوت جشع . ومنع النفس او الامل القوت او بعضه تن

الاعمال ذ. أحب عاملها ان يذكرك بها وكاد يكون شرنا لانه
يعمل لغير الله تعالى وهو يطمس التفاصيل لان صاحبه لا يكاد
يفعل الخير حبا للخير لكن ليدكر به . ابلغ في ذمك من
مدحك بما ايسر فيك لانه يسهل على نقصك . وبلغ في مدحك
من ذمك بما ايسر فيك لانه يسهل على فضلك واعد انتصر لك
من نفسه بذلك وبسهدها الى الاكابر واللائمة . لو عالم النافس
نقصه لكان كاملا . لا يخلو مخلوق من عيب فاسعيد من قلت
عيوبه ودفنت . اكثر ما يكون مالم تظن فالحزم هو التأهب
لما يظن . فسبحان من رب ذلك ابرى الانسان عجزه وافقاره
الى خالقه عز وجل .

فصل في الاخوان والصدقة والنصيحة به

استبقاك من عاتيك . وزهد فيك من شتهان بشانك
الكتاب للصديق كالسبيل للسبيكة فاما تصفو واما تطير . من
طوى من اخوانك سره الذي يمينك دونك اخون لك ممن
افشى سره . لان من افشى سره فانما خانك فقط ومن
طوى سره دونك منهم فقد خانك واستخونك . لا ترغب
فيمن يزهد فيك فتحصل على الخلية والخزيرة . لا تزهد فيمن

ان تعطي من نفسك الواجب وتأخذ . وحد جود ان تأخذ
ولا تعطيه . وحد الكرم ان تعطي من نفسك الحق صانما
وتحيا عن حقك لذرك قادرا . فالفضل انم . وجود
اذ الحلم فضل وليس جودا والفضل فرض زدت عليه نافلة .
اهمال ساعة يفسد رياضة سنة . خطأ الواحد خير في تدبير
الامور من صواب الجماعة التي لا يجمعها واحد . لان خطأ
الواحد في ذلك يستدرك وصواب الجماعة يضرى على
استدامة الاحمال وفي ذلك الهلاك . سوء الظن يمدد نوم
عبدا على لاحلاق ولبس كذلك الا ادى صاحبه الى مالا
يحل في الديانة او الى ما يفسد في المعاملة . والا فهو حزم . والحزم
فضيلة . ذيب بعضهم باتلاق ماله فقال . انى لا اضيع منه الا
ما كان في حفظه تنص ديني او اخلاق عرضي . او ايتاب
نفسى . فاني ارى الذي احفظ من هذه الثلاثة وان قل اجل
في الموضوع مما يضيع من مالي ولو انه كل ما ذرت (١) عليه
الشمس . افضل نعم الله على العبد ان يطعمه على العدل
وجه وعلى الحق واشاره . من عيب الذكر انه يحبط

ولا تشتر نفسك انتظار مقارضة علي ذلك من غير ربك عن
 ولا وجلا لا تبتين لا على ان اول من احسنت اليه اول مضر بك
 ، وساع عليك فان ذوي التبركيب الخبيثة ينفذون لشددة
 الحمد كل من احسن اليهم ذكرا وذكرا في اعل من حولهم .
 . عامل كل احد في الانس احسن معاملة وضرر الالم عنه .
 ان قلت ببعض الاوقات التي تأتي مع مرور الايام والليالي
 . نر نفس سالما مستريحاً لا تصح على شرط القبول . ولا تشفع
 على شرط الاجابة . ولا تبس على شرط الالانة . لكن على
 . سبيل استعمال الفضل ونادة ما عليك من النصيحة والشفاعة
 . ومثل المروف بمحمد الصداقة الذي يدور على طرفي محدوده
 هو : ان يكون المرء يسوءه ما ساء الاخر ويسره ما يسره
 فاستغل عن هذا فليس صدقاً . ومن حمل هذه الصنعة فهو
 صديق فيما نصح به (وكل ناصح صديق . وليس كل
 صديق ناصحاً . وحد النصيحة هو : ان يسوء المرء ماضر
 الاخر ساء ذلك الاحرام مره . وان يسره ما تقمه مر
 الاخر ام ساءه . فهذا شرط في النصيحة زائد على شروط
 الصدقة . واقصى مايات الصدقة التي لا مزياد عليها من شراكات

يرغب فيك فانه باب من بواب القلم وترك مقارضة الاحسان
 وهذا قبيح . من امتنع بان يحافظ الناس فلا يلق توجهه كله
 في من صعب . ولا يبت منه لا على انه عدو مناسب . ولا
 يصيح كل غدة الا وهو مترقب من غدر خونه . وهو
 معاملتهم مثل ما ترف من العدو المكاشف . فان لم من
 ذل . فله الحمد . وان كانت الاخرى اني متاهياً ولم تستهما .
 ولا يستعمل مع ذلك . وهو الممانعة فيالحق بذوي الشرارة من
 الناس واهل الخب منهم لا ولكن هاهنا طريق وعرة السالك
 شاقة التكلف يحتاج سالكها الى ان يكون هدى من القط
 واحذر من المتفق حتى يفارق الناس راحلا الى ربه تعالى وهي
 طريق الفوز في لدين والدنيا وهي ان تتكلم سر كل من دونك
 وان لا تقش في احد من اخوانك ولا من غيرهم ما يتكلمك
 طيه بوجه ما من الوجوه وان كان اخفى الناس بك . واني
 لجميع من ائتمك . ولا تأمن احدا على شيء من امرك تشفق
 عليه الا لضرورة لا بد منها فارتد حينئذ وجهك وعلى الله
 الكفاية . وابدل فضل مالك وجاهلك لمن سالك وبأسالك
 ولكل من احتاج اليك وممكنك نفعه وان لم يمدك بالرغبة

الا انه قد يتفجع به في الاقصاء عن الشر والتزبد من الخير وفي
ان يرغب في ذلك الخلق المدحوب من سمعه . بعض انواع
النصيحة بشكل اسره من النجبة لان من سمع النسايا يذم آخر
ضالما له او يكيد . فكم ذلك عن القول فيه والمكيد كان
الكاتم لذلك صاماً مذموماً ثم ان اعلمه بذلك كان قد ولد على
الدام والكاتم مالم يسلط استغناؤه بعد من الاذى فيكون ظالماً
له . وليس من الحق ان يفتن من الغالب باكثر من قدر صدمه
فالماقل في مثل هذا يحط القول فيه من القائل دون ان يلجمه
مغال لا يقع في الاسترسال اليه فهلك . واما في الكيد
فيحفظه من اوجه الذي يكاد منه بالظف ما يقدر في الكتمان
على الكاندوا بن ما يقدر في تحفيظ (١) الكبد ولا يزد على هذا
شأ . وما لنجمة فهي التبليغ لما سمع مما لا ضر فيه على المبلغ
اليه . النصيحة صرنا لا فاولاً فرص وديانة والثانية تنبيه وتذكير
والثالثة توسع وتقرير وليس وراء ذلك الا التكل واللطم
ورعا شد من ذلك من البني والاذى اللهم لا في . ماني الديانة

(١) قوله في تحفيظ حكنا في الاصل ولعل الصواب تحفيظ او

تحفيظ فتأمل .

بنفسه وعمله لغير علة توجب ذلك . يترك على من سواك .
ليس شيء من الفضائل اشبه بالذائل من الاستكثار من
الاخوان والاصدقاء . فان ذلك فضيلة تامة . تركبة لانهم
لا يكتسبون الا بالخل والجود والصبر والوفاء ولا يستفلاخ
والمشاركة والمنة وحسن لدفاع وتعلم العلم وبكل حاله محدودة
ولس انني الاتباع ايام الخدمة لانهم اقرهم عند الحراف الدنيا
والمصادفين لبعض الاحطاح . ولا التناذرين على الخير والجمعة بين
على المامى والتبايح ونيل . عرض الناس والفضول وما
لا يندة فيه وليس هؤلاء اصدقاء . لنيل بعضهم من بعض
والخبر بهم عند فقد تلك الرذائل التي جمعهم . وانما نرى اخوان
الصفاء لغير معنى الا لله عز وجل . واذا حصلت عيوب
الاستكثار . منهم وما يترك من الحق لهم عند نكبة ترض
اما يموت او بقرعة او فراق او غدر من يتدر منهم كان السرور
بهم لا يفي بالحزن المفض (١) من اجلهم . وليس في الرذائل اشبه
بالفضائل من محبة المدح فانه في الوجهه سخط ممن يرضى به

(١) منه الخرج ووجه . ومعه انه يوه ومعه اني . صاوم صيف .

بلغ من قلبه الحزن به كآفته .

فواجب على المرء ردّ النصع رضى المنصوح أو سخطه .
 تأذى الناصح بذلك أو لم تأذ . ذا نصحت فالصحيح سر الاحرار
 أو بتريض لا تصرّح الا ان لا يفهم المنصوح ندر يصحك فلا بد
 من التصريح . ولا تنصع على شرط القبول منك . فان تمديت
 هذه الوجوه فانت ظالم لا ناصح وطالب ضاعة ومهلك . لا يؤد
 حق ديانة واخوة . وليس هذا حكم العدل ولا حكم الصدقة
 ولكن حكم الامير مع رعيته واليد مع عبيده . لا تكلف
 صديقك الا مثل ما تبذل له من نفسك . فان حليت اكثر
 فانت ظالم . ولا تكسب الا على شرط القصد ولا تتول الا
 على شرط العزل . والا فانت مغر بنفسك خبيث السيوة .
 مسامحة اهل الاستتار والاستغنام والتناقل لهم ليس مروءة
 ولا فضيلة . بل مهانة وضعف ونقصية (١) لهم على التماذي
 على ذلك الخلق الذموم وتبيط لهم به وتول لهم على فعل
 ذلك السوء . وانما تكون المسامحة مروءة لاهل الانصاف
 المبادرين الى المسامحة والايثار فهو لا . على اهل الفضل ان

(١) قوله ونقصية اي اعراء من صرى الكعب . لكسر صريرة

اي تعود واصرا صريرة عوده والصبر به اي اعراء صريره انصا نصيره هـ

لما لم يلزم بتل ذلك لاسباب ان كانت حاجتهم امس وضروهم
 شد (فان قال قائل) فاذا كان كلامك هذا موجبا لاسقاط
 المسامحة والتناقل الزخوان به ستوى الصديق والمعدو
 والاحبي في المعاملة فهذا فساد ظاهر (فنقول) وبالله التوفيق
 كلاما يحض الا على المسامحة والتناقل والايثار ليس لاهل
 النعم لكن للصديق حقاً فان ردت مكرمة وجه العمل في
 هذا والوقوف على نهج الحق فان القصة التي توجب الاثرة
 من المرء على نفسه صديقه ينبغي لكل واحد من الصديقين
 ان يتأمل ذلك الامر داها كان امس حاجة اليه واظهر ضرورة
 لديه لحكم السداقة والمروءة تقتضى الاخر وتوجب عليه ان
 يؤثر على نفسه في ذلك فان لم يفعل فهو متعتم مستكثر لا ينبغي
 ان يسمع البتة اذ ليس صديقاً ولا اخاً فاما اذ استوت
 حاجتهما واتفقت ضرورتها فحق الصداقة هما ان يسارع كل
 واحد منها الى الاثرة على نفسه فان فعلا ذلك فهما صديقان
 وان بدر احدهما الى ذلك ولم يبادر الاخر اليه فان كانت
 عادته هذه وليس صديقاً ولا ينبغي ان يساهل معاملة الصداقة
 وان كان قد يبادر هو ايضاً الى مثل ذلك في قصة اخرى فهما

نه في الديانة عظيم . فان سمع القول مستضيئاً من جماعة وعلم
ان اصل ذلك القول شائع وليس راجعاً الى قول انسان واحد
او اطاع على حقيقته . لانه لا يقدر بوقف صدقة على ما وقف
عليه هو . يخبره بذلك بينه وبينه في رفق . ولذا له : انما
كثير او حصن منزلك وثقف اهلك او اجنب امرأ . كذا
وتحفظ من وجه كذا . فان قيل النصوح ونحو حفظ نفسه
اصاب . وان رآه لا تحفظ ولا يبالي . مساك ولم يعاوده بكلمة
وتعدي على صداقة . به فليس في ان لا صدقة في قوله ما يوجب
قطيعته . فان اطاع على حقيقة وقدر ان يوقف صدقة على . بل
ما وقف هو عليه من الحقيقة فقرض عليه ان يخبره بذلك وان
يوقفه على الجلية . فان غير ذلك وان رآه لا يخبر احتجب صحبه
ولا خير فيه ولا نية . ودخول رجل مستتر في منزل المرم
دليل سوء لا يحتاج الى غيره . ودخول المرأة في منزل رجل
على سبيل التستر . مثل ذلك ايضا . وطلب دايين أكثر من
ذلك سخط . وواجب ان يجتنب مثل هذه المرأة وفرافها
على كل حال . ومسكها لا يبعد عن الديانة . الناس في بعض
أخلاقهم على تسع مراتب . فطائفة تمدح في الوجه وتدم في

صديقان . من اردت قضاء حاجته بعد ان سالك ايها لو اردت
استدائه بقضاها فلا تعمل له الا ما يريد هو لا ما تريد انت والا
فامسك فان تدمرت هذا كنت ميتاً لا محسناً . مستحقاً للوم
منه ومن غيره لا للشكر ومقتضياً للعداوة لا للصداقة . لا انتقال
الى صديقك ما يؤلم نفسه ولا يفتع بعمرته فهذا فصل
الأردال . ولا تكنه ما يستنصر بحيله وهذا فصل اهل الشر
ولا يسرك ان تمدح ما ليس فيك بل ليظنه غمك بذلك لانه
تقصك بيه الناس عليه ويسمهم اياه وسخرية منك وهزؤ
بك ولا يرضى بهذا الا الحق ضئيف العقل . ولا بأس ان
ذممت بما ليس فيك بل امرح به فانه فصلك بيه الناس عليه .
ولكن امرح اذا كان فيك ما تستحق به المدح وسوء . ومدحت
به اولم تمدح . واحزن اذا كان فيك ما تستحق به الذم فسوء .
ذممت به اولم تدم . من سمع قائلاً يقول في امرأة صدقة قول
سوء فلا يخبره بذلك اصلاً لاسيما اذا كان القاتل عيابة وقاعافي
الناس سايط اللسان او دافع مفرم عن نفسه يريد ان يكثر أهله
في الناس وهذا كثيراً موجود . وبالجملة فلا يحدث الا لسان
الا بالحق . وقول هذا القاتل لا يدري الحق هو أم باطل الا

المعيب وهذه صفة أهل النفاق والعيابين وهذا خلق فاش في
الناس عايب عليهم : وصائفة تدم في المشرب والمعيب وهذه صفة
أهل السلاطة والوقاحة من العيابين وطائفة تدم في المشرب وتدم في
وهذه صفة أهل الملق والطمع : وطائفة تدم في المشرب وتدم في
المعيب وهذه صفة أهل السخف والواكحة . وأما أهل التوصل
فيمسكون عن المدح ولدم في المشاهدة ويثنون بخير في
المعيب ويمسكون عن الدم . وما العيابين البراء من النفاق
والقحة فيمسكون عن المدح وعن لدم في المشهد والمعيب .
ومن كل من أهل هذه الصمات قد شاهدنا وبلونا . اذ نصحت
ففي الخلاء وبكلام لين ولا تستدسب من تحته إلى غيرك
فتكون تماماً فان خشت كلامك في الدمية فذلك الغراء
وتنفر . وقد قال تعالى : فتولا له قولاً ليلاً . وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تنفر . وإن نصحت بشرط القبول منك
فانت ظالم ولعلك تخطئ . في وجه نصحت فتكون مطالب
بقبول خطئك وترك الصواب . لكل شئ فائدة ولقد استعنت
بمحك أهل الجاهل بمنعة عظيمة وهي أنه توعد طبعي واحتدم
خاطري وحى فكفري وتبيح نشاطي فكان ذلك سبباً إلى

توايف عقيمة الذم ولولا استنارهم ساكني واقتدارهم كامي
ما اجمعت لذلك التوايب . لا تصاهر إلى صديق ولا تباينه
فما رأينا هذين العمايين إلا سبباً للقطيعة . وإن ظن أهل الجاهل
أن فيها تاييداً للصلة فليس كذلك . لأن هذين المقربين
داعيان كل واحد إلى طلب حفظ نفسه . والموترون على انفسهم
فليل جدوا . فإذا اجتمع طلب كل امرئ . حفظ نفسه وقعت
المنازعة ومع وقوعها فساد المروءة . واسلم الماهرة مخبة
مصاهرة الاهاين بعضهم بعضاً لان القرابة تنفي العدل وإن
كرهوه لانهم مضطرون إلى ما لا اتكالك لهم منه من
الاجتماع في النسب الذي توجب الطيعة لكل احد الذب
عنه والحماية له

فصل في انواع المحبة

وقد سئلت عن تحقيق القول فيها وفي انواعها . المحبة
كلها جنس واحد ورسمها انها الرغبة في المحبوب وكرامة
منافرة والرغبة في المقارضة منه بالحجة . وانما قدر الناس انها
تختلف من اجل اختلاف الاعراض فيها . وانما اختلفت
الاعراض من اجل اختلاف الاطماع وتزايدها ونحاسها

فتكون المحبة لله عز وجل وفيه . والاتفاق على بعض المطالب
والأب وابن القرية والصدق والاطمان ولذات القران
والمعنى والمأمول والمعشوق . فهذا كله جنس واحد
اختلفت انواعه كما وصفت لك على قدر الطمع فيما ينال فذلك
اختلفت وجوه المحبة . وقد رأينا من مات اسفا على ولده كما
يموت العاشق اسفا على معشوقه . واتفقنا نحن شفق من خوف
الله تعالى ومحبة فاته . ونجد المرء يمار على سلطانه وعلى
صديقه كما يمار على ذات فرسه وكما يمار العاشق على معشوقه
فادنى طماع المحبة ممن يحب الخطوة منه ورافعة لديه والراية
عنده اذا لم تطعم في اكثر . وهذه غاية صاع الحنين لله ثم
يزيد الطمع في انجاسه ثم في الحادثة والموزر . وهذه اطاع
المرء في سلطانه وصديقه وذوي رحمه . ونفسى اطاع المحب
ممن يحب الخالصة بالأعضاء اذا رجا ذلك ولذلك نجد المحب
المهرط المحبة في ذات فرسه يرغب في حماها على هيات شتى في
اماكن مختلفة يستكثر من الاتصال . ويدخل في هذا الباب
اللامسة بالجسد والتقبل . وقد يقع بعض هذا الطمع في
الأب وفي ولده فيمدى الى التقبل والتعظيم . وكل ما ذكرنا

نفا هو على قدر الطمع . فاذا انحسم الطمع عن شيء . ما به بعض
الأسباب الموجبة له مات النفس الى ما تطعم فيه . ونجد
المرء بالروية شديد الحبس اليها عظيم التروح نحوها لا يفتح
بدرجة نحوها لانه يطعم فيها . ونجد المنكر لما لا نحن نفسه
الى ذلك ولا يتناهى اصلا لانه لا يطعم فيه ونجد يفتقر على
ارضاء والحلول في دار الكرامة فقط لانه لا تطعم نفسه في
اكثر . ونجد المستحل للكاح القريب لا يفتح مهن بما يفتح
الحرم لذلك ولا تقف محبة حيث تقف محبة من لا يطعم في
ذلك . فتجد من يستحل تكاح ابنته وابنة اخيه كالجنوس
واليهود لا يقف من محبتها حيث تقف محبة المسلم بل يجد همها
يتعسفان الابوة لابنة لا كاستحقاق المسلم فيمن يطعم في مخالفتها
باجتماع . ولا نجد مسالما يبيع ذلك فيها ولو انها اجمل من
الشمس وكان هو امر الناس وغرلهم قال وجد ذلك في
الندرة فلا يجدد الا من فاسد الدين قد زال عنه ذلك الرادع
فانفسح الامل وافتتح له باب الطمع . ولا يأمن المسلم ان
تفرط محبة لابنة عمه حتى يصير عشقا وحتى يتجاوز محبة لها
محبة لابنته وابنة اخيه وان كانتا اجمل منها لانه يطعم من

غيره أو بعده حتى اذا حدث مطمع في هذه المرتبة حدث له
 من الهم والفكرة والقيظ أمر رعا فاده الى تلف نفسه وتلف
 دنياه وأخراة . فاطمع اذا اكمل ذل ولكل هم وهو خلق
 سوء ذميم . وضده نزاهة النفس . وهذه صفة فاضلة مركبة
 من النجدة والجود والمدل والقيم لانه رأى قلة الهائنة في
 استعمال ضدها فاستعملها وكانت فيه نجدة اتجت له عزرة نفسه
 فخره وكانت فيه طيبة سخاوة تقس فلم يهتم لما فاتته وكانت
 فيه طيبة عدل حيث اليه القنوع وقلة الطمع . فذن نزاهة
 النفس متربة من هذه الصفات . فالطعم الذي هو ضدها
 متربك من الصفات المضادة لهذه لاربع صفات وهي الجبن
 والشح والجور والجهل . والرغبة طعم مستوفي مترايد متعمل
 ولولا الطمع ما دل أحد لا أحد . واخبرني أبو بكر بن أبي القياض
 قال كتب عثمان ابن محاس علي باب داره بأسمعه يا عثمان
 لا تطمع

فصل من هذا الباب

من امتحن يقرب من يكره . كن امتحن بصدد من يحب
 ولا فرق إذا دعا المحب في السلو فاجابته مضونة وهي دعوة

الوصول الى ابنة عمه حيث لا يطعم من الوصول الى ابنته وابنة
 اخيه . وتجند النصراني قد امن ذلك من نفسه من ابنة عمه
 لانه لا يطعم منها في ذلك . ولا يامن ذلك من نفسه في اخته
 من الرضاعة لانه طامع بها في شرعته . فلا يحذر عيانا ما ذكرنا
 من ان الخمة كلها جنس واحد . اكبرها تختلف انواعها على قدر
 اختلاف الاغراض فيها والافطع بالبشر كالم واحد الا ان
 للمادة والاعتقاد الدياني تأثيرا واضرا ولنا نقول : ان الطمع
 له تأثير في هذا الفن وحده . لكننا نقول : ان الطمع سبب
 الى كل هم وحتى في الاموال والاحوال . فاننا نجد الانسان
 يموت جاره وخاله وصديقه وابن عمته وعمه لام وابن خيه
 لام وجده أبو له . وان بنته قاذلة . طمع له في ماله ارقعه عنه
 الهم بقوة عن يده وان جل خطره وعظم مقداره فلا سبيل
 الى ان يمر الاهتمام بشيء منه بباله وذمات له عصبية على بعد
 أو مولى على بعد حدث له الطمع في ماله وحدث له من الهم
 والاسف والقيظ والفكر . بقوت اليسير منه عن يده أمر
 عظيم . وهكذا في الاحوال فتجد الانسان من اهل الطبقة
 المتأخرة لا يهتم لانفاذ غير مأمور بلددون أمره ولا لتقريب

ثم الإعجاب وهو رغبة الاطر في المنظور اليه في قرينه . ثم
اللائنة وهي الوحشة اليه اذا تاب . ثم الكلف وهو غلبة شغل
البال به وهذا النوع يسمى في الغزل المشق . ثم الشغف وهو
ممتناع النوم ولا كل والشرب لا البير من ذلك . وربما
أدى ذلك الي المرض او الى التوسوس أو الى الموت . وليس
وراء هذا منزلة في تنامي الحجة أصلاً

فصل ٦

كنا نظن ان المشق في ذوات الحركة والحدة من النساء
أكثر فوجدنا لأمراً بخلاف ذلك وهو في الساكنة الحركات
أكثر مالم يكن ذلك السكون بلها

فصل ٧

في أنواع صباحة الصور وقد سئلت عن تحقيق الكلام فيها
(قلت) الخلاوة دقة الحاسن والطف الحركات وخفة الانارات
وقبول النفس لأعرض الصور وان لم تكن ثم صفات ظاهرة
القوم جمال كل صفة على وحدتها ورب جميل الصفات على
انفراد كل صفة منها بارد الطلعة غير ملبح ولا حسن ولا رائح
ولا حلول الروعة بها . الاعضاء الظاهرة . وهي أيضاً القراصة .

مجانة . أقنع بمن عندك يقع بك من عندك . السعيد في الحجة
هو من ابتلى بمن يقدر ان يلقى عليه قلبه ولا تدعه في مواصلة
تبعه من الله عز وجل ولا ملامة من الناس . وصلاح ذلك
ان يتوقفها في الحجة . وتجربته ان يكونا حالين من المال فانه
خلق سوء منقص ونمامه يوم الأيام عنها مدة تنافع لمضعا
ببعض واني بذلك الا في الجنة . وأما ضئانه يبين وليس الا فيها
فهو دار القرار والا فلو حصل ذلك كله في الدنيا لم تؤمن
القجائع ولتقطع العمر دون استيفاء اللذة . اذا رقت الغيرة
فايقن بارتضاع الحجة . الغيرة خلق فاضل متركب من النجدة
والمعدل . لان من عدل كره ان يتعدى الى حرمة غيره ون
يتعدى غيره الى حرمة . ومن كانت النجدة له ما يما حدثت
فيه عزة . ومن العزة تحدث الائمة من الالهتضام . انخبرني
بعض من صحبناه في الدهر عن نفسه انه ما عرف الغيرة قط
حتى ابتلى بالحببة فقار وكان هذا الخبر فاسد الطمع خبيث
التركيب الا انه من اهل الفهم والجود . درج الحجة خمسة
اولها الاستحسان وهو ان تحتل الناطر صورة المنظور اليه
حسنه او يستحسن اخلاقه وهذا يدخل في باب التصديق .

والمعنى الحسن . وهو شيء ليس له في اللغة اسم يعبر به عنه ولكنه محسوس في القنوس بانفاق كل من رآه . وهو يرد مكسو على الوجه واشراق يستميل القلوب نحوه فتجتمع الآراء على استحسانه وإن لم تكن هناك صفات جميلة فكل من رآه واقه واستحسنه وقبله حتى اذا تأملت الصفات اقراها لم تر طائلا . وكأنه شيء في نفس المرء يجده نفس الرائي . وهذا اجل مراتب الصباحة . ثم تختلف الاهواء بعد هذا فمن مفضل الروعة ومن مفضل للعلاوة . وما وجدنا أحدا قط يفضل التواء المنفرد . الملاحاة اجتماع شيء بشي مما ذكرنا هو فصل فيما يتعامل به الناس في الاخلاق .

التلون المذموم هو . التنقل من زبي متكاف لا معنى له الى زبي آخر مثله في التكلم وفي انه لا معنى له ومن حال لا معنى لها الى حال لا معنى لها بلا سبب يوجب ذلك . فلما من استعمل من الزبي ما امكنه مما به اليه حاجة وترك المزيد مما لا يحتاج اليه فهذا عين من عيون العقل والحكمة كثير . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو القدوة في كل خير والذي اتى الله تعالى على خلقه والذي جمع الله تعالى فيه

شئنا الفضائل بنامها وابنده عن كل نقص . يدود المريض مع اصحابه راجلا في أقصى المدينة بلا خوف ولا نمل ولا فلتسوة ولا عمامة . ويلبس الشعر اذا حضره . ويلبس الوشي من الجبرات اذا حضره لا يتكلف . الا يحتاج اليه . ولا يترك ما يحتاج اليه . يستغنى عما وجد عما لا يجد . ومرة بشي حافيا واجلا . ومرة يلبس الخف ويركب البغلة الزائفة الشبيهة . ومرة يركب الفرس . ومرة يركب الناقة . ومرة يركب حمارا ويردف عليه بدخ اصحابه . ومرة يأكل التمر دون خبز والخبز بادسا . ومرة يأكل المتناق (١) المشوية والبطايخ بالوطب والحلواء يأخذ الثوت ويبدل الفضل ويترك ما لا يحتاج اليه ولا يتكلف فوق . مقدار الحاجة ولا يفض لنفسه ولا يدع الغضب لربه حتى وجل . الثبات الذي هو صحة العقدة . والثبات الذي هو الاجاب يشبه ان اشتباهها لا يفرق بينهما . لا عارف بكيفية الاخلاق . والفرق بينهما ان الاجاب هو ما كان على الباطل أو ما فعله الفاعل نصراً لما نسب فيه وقد لاح له فساد اوله لم يلح له صوابه ولا فساد . وهذا مذموم . وضده الانصاف

(١) المتناق كسحاب الانقي من أولاد المعز

في قصة ويعقل في أخرى ويحقق في ثالثة - وضد الجنون
 يتميز الانبياء ووجود القوة على التصرف في المعارف والصناعات
 وهذا الذي يسميه الاولائل النطق ولا واسعة بينهما . ولما
 احكام امر الدنيا والتودد الى الناس بما وافقهم وصلحت عليه
 حال التودد من باطل او غيره أو عيب أو ماعدهاء والتحويل في
 إتمام المآل وبعد الصوت ونمشية الجاه كل ما امكن من معصية
 وورذيلة فليس عقلا . ولقد كان الذين صدقهم الله في انهم
 لا يعقلون واخبرنا بانهم لا يعقلون سائسين لدينام مشمرين
 لامو لهم حافظين لرياسهم لكن هذا الخلق يسمى الدهاء
 وضده العقل والسلامة ، ولما ادا كان السعي فيها ذكرنا عما
 فيه تصادون واثفة فهو يسمى الخزم . وضده المنافي له التضيق
 وما الوفاء . ووضع الكلام موضعه والتوسط في تدبير الميمنة
 ومسايرة الناس بالمسالة وهذه الاخلاق تسمى الرزانة . وهي
 ضد السخف . الوفاء مركب من العدل والجود والنجدة .
 لان الوقي رأى من الجود ان لا يمسارض من وثق به أو من
 أحسن اليه بعدل في ذلك . ورأى ان يسمح بماجل يقتضيه
 له عدم الوفاء من الحظ فجاء في ذلك ، ورأى ان يجادل لما يقع

ولما الثبات الذي هو صحة العقدة فانما يكون على الحق او على
 ما اعتقده المرء حقاً ما لم يبلغ له باطله . وهذا محمود . وضده
 الاضطراب . وانما يلام بعض هذين لانه ضيع تدبر ما بات
 عليه وترك البحث عما التزم أحق هو ام باطل . ضد العقل
 استعمال العاطات والهذائل وهذا . لحد ينطوي فيه اجتناب
 المعاصي والذائل وقد نص الله تعالى في غير موضع من كتابه
 على ان من عصاه لا يعقل (وقال) الله تعالى حاكماً عن قوم وقالوا
 لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في اصحاب السير . ثم قال تعالى
 مصداقاً لهم فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لاصحاب السير . و ضد
 الحق استعمال المعاصي والذائل . ولما التعدي وفقد الحجارة
 والتخاليط في القول فانما هو جنون ومرار هائج . ولما الحق
 فهو ضد العقل وهما ماينا آنما ولا واسطة بين العقل والحق
 الا السخف . و ضد السخف هو العمل والقول بما لا يحتاج
 اليه في دين ولا دنيا ولا حيد خلق مما ليس معصية ولا طاعة
 ولا عونا عليها ولا فضيلة ولا رذيلة مؤذية ولكنه من هذر
 القول وفصول العمل . فلي قدر الاستكثار من هذين الامرين
 والتفقل منهما يستحق المرء اسم السخف . وقد يسخف المرء

فمن هذه ركبت غيرها فمن حازها فهو في الناس راس.
 كذا الراس فيه الامور التي باحسانها يكشف الالتباس.
 في النفس فضيلة تركبت من النجدة، وكذلك الصبر.
 والحلم نوع مفرد من انواع النجدة. والقناعة فضيلة مركبة
 من الجود والعدل. الشراء متولد عن الطمع. والطمع متولد
 عن الحسد. والحسد متولد عن الرغبة. والرغبة متولدة عن
 الجور والشح والجهل (الحرص) ويتولد من الحرص (ذائل
 عظيمة منها الدل والسرقة والنصب والزنا والقتل والمشق والحلم
 بالعقر والمنة لما يابدى الناس. ونما فرقنا بين الحرص والطمع
 لان الحرص هو - اظهار ما استمكن في النفس من الطمع -
 (والمداواة) فضيلة متراكبة من الحلم والصبر. الصدق مركب
 من العدل والنجدة. لاني، اتبع من الكذب وما طنك
 بعيب يكون الكفر نوعا من انواعه فكل كفر كذب
 فالكذب جنس الكفر نوع محته. (الكذب) متولد من
 الجور والجهل. لان الجبن يولد مهانة النفس والكذاب
 مهين النفس بعيد عن عزها المحموده. رايت الناس في كلاهم
 الذي هو فصل بينهم وبين الخير والكلاب والحشرات

من عاقبة الوفاء فشجع في ذلك (اصول) الفضائل لورثة عنها
 تتركب كل فضيلة وهي العدل والفهم والنجدة والجود (اصول)
 الذائل كلها اربعة عنها تتركب كل رذيلة وهي اصداد الذي
 ذكرنا وهي. الجور والجهل والجبن والشح الامانة والعفة
 نوعان من انواع العدل والجود قال ابو محمد علي بن احمد ممد
 قلته في الاخلاق

انما العقل بالعلم لم والا فهو يور
 جاهل الاشياء اعشى لا يرى كيف يدور
 وتنام المسلم بالمدل والا فهو زور
 وزمام العدل بالجود والا فيجور
 وملاك الجود بالنجدة والجبن غرور
 عفا ان كنت غيو را مازنى قط غيور
 وكال الكل بالتقوى وقول الحق نور
 ذي اصول الفضل منهم - حدث بعد النذور
 ومما قلته ايضا

اصول النفس - اتل عدل وفهم وجود وبأس
 جميع

فقول الدنيا. إياك ومواقفة الجليس السي ومساعدة أهل زمانك
 فيما يضرك في آخرك أو في دينك وإن قال فإياك لا تستفيد
 بذلك إلا التندامة حيث لا ينفعك الندم. ولن يحمذك امرؤ
 ساعدته بل يشمت بك. وأقل ذلك وهو المضبوط أنه
 لا يبالي - و. عافبك وفساد مخبتك. وإياك ومخانة الجليس
 ومعارضة أهل زمانك في. إلا يضرك في دينك ولا في
 آخرك وإن قال فإياك تستفيد بذلك الأذى والمنافرة والعدوة
 وربما أدى ذلك إلى المطالبة والضرر العظيم دون منفعة أصلا
 إن لم يكن بد من الغضب الناس و غضاب الله عز وجل ولم
 يكن لك مندوحة عن منافرة الحاق ومنافرة الحق فأغضب
 الناس وناوهم. ولا تغضب ربك ولا تنافر الحق. الانساء بالنبي
 صلى الله عليه وسلم في وعظه أهل الجاهل والمعاصي والذائل
 واجب. فن وعظ بالجفا ولا كهمر ار فقد اخطا وتمسدي
 طريقة صلى الله عليه وسلم وصار في أكثر الامر مغريا للوعوظ
 بالتمادي على أمره لجأوا حرجا ومنايضة للوعظ الجافي فيكون
 في وعظه سببا لا محسنا. ومن وعظ بشر وبسم ولين كأنه
 مشير برأي ومخبر عن غير الموعوظ بما يستقيح من الموعوظ

ينتمون أقساما ثلاثة (أحدها) من لا يبالي فيما ينفع كلامه
 فيتكلم بكل ما سبق إلى إسنانه غير محقق نصر حق ولا انكار
 باطل وهذا هو الأغلب في الناس (والثاني) من يتكلم ناصرا
 لما وقع في نفسه أنه حق. ودافعا لما نوه به باطل. غير محقق
 لطلب الحقيقة لكن لجأ فيها للزعم وهذا كثير. وهو دون
 الأول (والثالث) واضع الكلام في. ووضعه وهذا عز من
 الكبريات الأحمر لمدح حال من غاظه الحق. ثنان عظمت واحتما
 أحدهما في غاية المدح. والآخر في غاية اللد. ومهما مطرح
 الدنيا ومطرح الحياء. من عجيب تدبير الله عز وجل للعالم أن
 كل شيء اشتدت الحاجة إليه كان ذلك أهون له. وتأمل
 ذلك في الماء فافوته وكل شيء اشتد النغي عنه كان ذلك عز
 له. وتأمل ذلك في الياقوت الأحمر فادونه الناس فيما يمانون
 كاللشي في القلاة كلما قطع أرضا بدت له أرضون. وكلما قصد
 المرء سببا حدث له أسباب. صدق من قال إن العاقل في
 الدنيا متموب. وصدق من قال أنه فيها مستريح. فاما تبه
 فيما يرى من انتشار الباطل وغلته دولته وبما يحال بينه من
 مظهر الحق. وأما راحته فن كل ما يهتم به سائر الناس من

الفاضل يود لو كان الناس فضلاء، وترى كل من ذكر شيئاً
يحبس عليه يقول أو قل أمراً وما وكل ذي مذهب يود
لو كانت الناس موافقين له وترى ذلك في الفاضل إذا حال
بعضها على بعض أحاله إلى نوعيته وترى ذلك في تركيب
الشجر وفي تندي النبات والشجر والماء ورطوبة الأرض
وإحالتها ذلك إلى نوعيتها فسبحان مخترع ذلك ومدبره لا اله
إلا هو (من عجب) قدرة الله تعالى كثرة الخلق ثم لا ترى
أحدًا يشبه آخر شيئاً لا يكون بينهما فيه فرق وقد سألت من
صال عمره وبناته الثمانين عاماً هل رأى الصور في ما خلا مشبهة
لهذه شيئاً واحداً. فقال لا بل لكل صورة فرقة ومكثداً كل
ما في العالم يعرف ذلك. من تدبر الآلات وجميع الأجسام
المركبات وصال تكرور بصره عليها. فإنه حينئذ يميز ما بينها
ويعرف بعضها من بعض بفروق فهذا تعرفها النفس ولا يقدر
أحد بدمر عنها بلسانه فسبحان العزيز الحكيم الذي لا تناهى
مقدوراته

﴿فصل في مداواة ادواء الاخلاق العاسدة﴾

من امتحن بالمعجب فليفكر في عيوبه . فان اعجب

فذلك المنع وانجم في الموعظة . فان لم ينتقل فلينتقل إلى الموعظة
بالتعشيم وفي الخلاه . فان لم يقبل ففي حضرة من يستحي منه
الموعوظ . فهذا ادب الله في امره بالقول اللين . وكان صلى
الله عليه وسلم لا يواجه بالموعظة لكن يقول : ما بال اقوام
يفعلون كذا . وقد اتى عليه الصلاة والسلام على الرفق .
وابر بالنيب . ونهى عن التنفير . وكان يحول بالموعظة
خوف الملل . (وقال) تعالى : ولو كنت فظاً غليظ القلب
لانفضوا من حولك . (وما) العظاظة والشدّة فانما تجب في
حد من حدود الله تعالى فلا ين في ذلك للقادر على اقامة
الحد خاصة . ومما يجنب في الموعظة أيضاً التناهي بمحضرة المسمي
على من فعل خلاف فعله . فهذا داعية الى عمل الخير وما اعلم
لحب المدح فضلا الا هذا وحده . وهو ان يقتدي به من يسمع
التناء ولهذا توجب ان تورخ الفضائل والذائل لينفر سامعها
عن التقييع المأثور عن غيره ويرغب في الحسن المنقول عن
تقدمه ويتعطف بما سلف . ونامت كل مادون السماء وطالت
فكرتي فوجدت كل شيء فيه من حي وغير حي طبعه ان
قوى ان يقلع عن غيره من الانواع كقباته ويلبسه صفاته فتري

بفصلاته فليفتش ما فيه من الاخلاق الدينية . فان خفيت عليه عيوبه جملة حتى يظن انه لا عيب فيه فيعلم ان معيبته الى لا بد وانه اسم الناس نقصاً واعظاً عيوباً واضعفهم تمييزاً وأول ذلك ان ضعيف العقل جاهل . ولا عيب اشد من هذين لان العاقل هو من ميز عيوب نفسه فقالها وسعى في قمعها . والاحق هو الذي يحيل عيوب نفسه اما لقله علمه وتميزه وضعف فكرته . واما لانه يقدر ان عيوبه خصال وهذا اشد عيوب الارض . وفي الناس كثير يفخرون بالزنا والباطل والسرقة والظلم فيمجب بتأني هذه النحوس له وقوته على هذه المحازي (واعلم) يقينا انه لا يسلم انسي من نقص حاشا لانياء صلوات الله عليهم فمن خفيت عليه عيوب نفسه فقد سقط وصار من السخف والضعف والذالة والخسة وضعف التمييز والعقل وقلة العلم بحيث لا يخفف عنه متخلف من الارذال وبحيث ليس تحتة منزلة من الدناءة فليتدارك نفسه بالبحث عن عيوبه والاشتغال بذلك عن الاعجاب بها وعن عيوب غيره التي لا تنصره لافي الدنيا ولا في الآخرة . وما ادري لسماع عيوب الناس خصلة الا الاتعاظ بما يسمع المرء منها فيجتنبها

وليس في ازالة ما فيه منها بحول الله تعالى وقوته (واما) الحق بعيوب الناس فمريب كبير لا يسوغ اصلا والواجب اجتنابه الا في نصيحة من يتوقع عليه الاذى بمداخلة المريب أو على سبيل تكيت المعبود فقط في وجهه لا خلف ظهره ثم يقول للمعجب ارجع الى نفسك فاذا ميرت عيوبها فقد داويت عجبك ولا تمثال بين نفسك وبين من هو اكثر عيوباً منها فتسهل الرذائل وتكون قلة الالاهل الشر وقد قدم تقليد اهل الخير فكيف تقليد اهل الشر . لكن . مثل بين نفسك وبين من هو افضل منك فيتمتد باسم عجبك وتتيق من هذا الداء القبيح الذي يولد عليك الاستغفاف بالناس وفيهم بلا شك من هو خير منك فاذا استغففت بهم لمغير حق استغفوا بك بحق لان الله تعالى يقول . وجزاء سيئة سيئة مثلها . فتولد على شك الاستغفاف بك بل على الحقيقة مع مقت الله عز وجل وطمس ما فيك من فضيلة . فان اعجبت بعقلك فتكبر في حل فكرة سوء تحمل بخاطرك وفي اضالال الالمانى العائمة بك فمالك تعلم لم تقص عقلك حيثئذ . وان اعجبت بآرائك فتكبر في سقاالك واحفظها ولا تنسها وفي كل رأي

أعوام واعلم ان كثيرا من اهل الحرص على العلم يجدون في
 القراءة والأكباب على الدروس والطلب ثم لا يرزقون منه حظا
 فليعلم ذو العلم انه لو كان بالا كباب وحده لكان غير وفوقه (١)
 فصح انه . و هبة من الله تعالى فاني مكان للمعجب هاهنا ما هذا
 الاموضع تواضع وشكر لله تعالى واستزادة من نعمه واستفادة
 من سلها . ثم تفكر ايضا في ان ما خفي عليك وجهته من
 انواع العلم ثم من اصناف علمك الذي تختص به فالدي اعجبت
 بماذاك فيه اكثر مما تعلم من ذلك فاحمل مكان المعجب استنصا
 لنفسك واستقصا را فهو اولي . وتفكر فيمن كان اعلم منك بخدمهم
 كثيرا فلهم تفكر عندك حيث تدون في اخلا لك بملكك
 وانك لا تعمل بما علمت منه فعلمك عليك حجة حيث تدون ولقد
 كان سلم لك لو لم تكن عالما واعلم ان الجاهل حيث تدون علمك
 واحسن حالا واعذر فادق عجبك بالكفاية ثم لعل علمك
 الذي تعجب بنفاذك فيه من العلوم المتأخرة التي لا كبير خصلة
 فيها كالشعر وما جرى مجراه . وانظر حيث تدون الى من علمه
 اجل من علمك في مراتب الدنيا والآخرة فهو نفسك

قدرته صوابا يخرج بخلاف تقديرك واصاب غيرك واخطأت
 انت . فانك ان فطنت ذلك فاقبل آخوالك ان يوازن سقوط
 رايك صوابه فتخرج لالك ولا عليك ولا تغلب ان خصاك
 اكثر من صوابك وهكذا كل احد من الناس بعد النبيين
 صلوات الله عليهم . وان اعجبت بخيرك فتفكر في معاصيك
 وفي تقصيرك وفي معاييك ووجوهه فوالله لتجدن من ذلك
 ما يغلب على خيرك ويضي على حسناتك فايطل همك حينئذ
 وابدل من العجب تقصا لنفسك . وان اعجبت بملكك فاعلم
 انه لا خصلة لك فيه وانه . و هبة من الله مجردة وهبك اياها
 وبك تعالى فلا تقابلها بما يستخطه فاهله بنسبك ذلك بيلة تتعنتك
 بها تولد عليك نسيان ما علمت وخففات . ولقد اخبرني عبد
 الملك ابن حاريف وهو من اهل العلم والذكاء واعتدال
 الاحوال وصحة البحث نه كان ذا حظ من لحفظ عظيم لا يكاد يمر
 على سمعه شيء يحتاج الى استمادته ونه ركب البحر فرب فيه هول
 شديد انساء اكثر ما كان يحفظ واخل بقوة حفظه اخلا لا
 شديدا لم يعاوده ذلك الدكاء بعد . وانا اصابتني علة فافقت
 منها وقد ذهب ما كنت احفظ الا ما لا قدر له فما عاودته الا بعد

هذه الشربة بكم كنت ترضى ن يتاعها فقال له الرشيد عليك
كله . قال يا امير المؤمنين فلو منمت خروجها منك بكم كنت
ترضى ان تقتدي من ذلك قال بملكى كله . قال يا امير المؤمنين
انقبض بملك لا يساوي بوله ولا شربة ماء . وصدق ابن السكك
رحمه الله . وان كنت ملك المسلمين كلهم فاعلم ان ملك السودان
وهو رجل اسود مكشوف المودة جاهل بملك اوسع من
ملكك . فان قلت انا اخذته بحق فلعمرى ما اخذته بحق اذا
استمكت فيه رذيلة العجب واذا لم تعدل فيه فاستحي من
حالك هي حاله رذالة لاحالة يحب العجب فيها . وان اعجبت
بملك فهذه اسوء مراتب العجب فانظر في كل ساقط خسيس
فهو اغنى منك فلا تنقبض بحاله يفوقك فيها من ذكرت
(واعلم) ان عجبك بالمال حق لانه احجار لا تنفع بها الا ان
تخرجها عن ملكك بنفقتها في وجهها فقط والمال ايضا غاد ورأى
وربما زال عنك ورأته بعينه في يد غيرك ولعل ذلك يكون
عدوا . فالعجب بمثل هذا سخف والفتنة به غرور وضعف .
وان اعجبت بعجبك ففكر فيما يولد عليك مما نستحي نحن من
آياته وتستحي انت منه اذا ذهب عنك بدخولك في السن

عليك . وان اعجبت بشجاعتك فتفكر فيمن هو شجع
منك ثم انظر في تلك النجدة التي منحك الله تعالى فيم صرفها
فان كنت صرفتها في معصية فانت احق لامك بذلت نفسك
فيما ليس ثمناً لها . وان كنت صرفتها في طاعة فقد فسدتها
بعجبك ثم تفكر في زوالها عنك بالشيخوخة والهلك ان عشت
فتستعير من صدد اليال وكالصي ضعفاً . على اني ما رأيت
العجب في طابئة اقل منه في اهل الشجاعة واستدلت بذلك
على نزاهة انفسهم ورفعتها وعلوها . وان اعجبت بنجاحك في
ديارك فتفكر في مخالفاتك واندادك ونظر انك ولعلمك اخاء
وضعا . سقاط فاعلم انهم امثالك فيما انت فيه ولعلمك ممن
يستحي من التشبه بهم لمرط رذالتهم وخساستهم في انفسهم
واخلافتهم ومناياتهم فاستحصن بكل منزلة شاركك فيها من
ذكر وان كنت ملك الارض كلها ولا تخالف عليك وهذا
بميد جدا في الامكان فما تعلم احدا ملك معور الارض كله
على فلتة وصيق ساحته بالاضافة الى غامرها فكيف اذا اضيف
الى الفلك المحيط فتفكر فيما قال ابن السكك للرشيد وقد دعا
بمحضرته بقدر فيه ماء ليشربه فقال له يا امير المؤمنين فلو منمت

الطحال شديداً فولد ذلك على من الضجر وضيق الخناق وقلة
الصبر والنزق اسرا جاشت قسي فيه اذا انكثرت تبدل خافق
واشتد عجبى من مفارقتى لطبى وصح عندي أن الطحال
موضع الفرح اذا فسد تولد ضده . وان اعجبت بنسبك فهذه
اسوء من كل ما ذكرنا لان هذا الذي عجبته به لا فائدة له اصلا
في دنيا ولا آخرة ونظر هل يدفع عنك جوعه ويستتر لك
عورة او ينفعك في آخرتك ثم انظر الى من يباهمك في نسبك
ورعا فيها هو اعلى منه عمن ناله ولادة الانبياء عليهم السلام
ثم ولادة الصلوة من الصحابة والماء ثم ولادة ملوك المعجم
من لا كسرة والقيصرة ثم ولادة التباينة وسائر ملوك
الاسلام فامل غيرهم وبقاياهم ومن يدلى بمثل ماتدلى به من
ذلك نجد اكثرهم امثال الكلاب خساسة وتلقهم في غاية
السقوط والذل والتبدل والتحل بالصدمات المدمومة ولا تقتبط
بجزلة ثم فيها نظر ذك او فوقك . ثم لعل الآباء الذين تتخبرهم
كانوا فسادا وشرية خمور ولا طه ومعتين ونوكي اطلقت الايام
ايديهم بالظلم والجور فحجوا اصلا واراء قبيحة تبقى عارهم بذلك
الايام ويمظم انهم والندم عليها يوم الحساب . فان كان كذلك فاعلم

وفيا ذكرنا كفاية . وان اعجبت بمدح اخوانك ففكر في
ذم اعدائك اياك فحينئذ يحل عنك العجب . فان لم يكن لك
عدو فلا خير فيك ولا منزلة اسقط من منزلة من لا عدو له
فليست الا منزلة من ليس لله تعالى عنده نعمة يحسد عليها
عافانا الله . فان استعقرت عيوبك ففكر فيها ولو ظهرت لي
الناس وتخل خلاصهم عليها فحينئذ تحجل وتعرف قدر نقصك
ان كانت لك مسكة من تمييز (وعلم) بانك ل تملأت كيفية
تركيب الطبايع وتولد الاخلاق من امتزاج عناصرها لمحموله
في النفس فستقف من ذلك وقوف يقين على ان فضائلك
لا خصلة لك فيها وانها منفع من الله تعالى لو منحها غيرك لكان
مثلث وانك لو وكلت لي نفسك لمجزت وهلكت فاجعل
بدل عجبك بها شكرا لوجهيك اياها واشفاقا من زوالها فقد
تغير الاحلاق الحيدة بالمرض وبالفقر وبالخوف وبالنصب
وبالهرم . وارحم من منع مامنت ولا تتعرض لروال مابك
من النعم بالتواصي على واهها تعالى وبان تحمل لنفسك فيها
وهبك خصلة او حقا فتقدر لك استغيت عن عصمته فهلك
عاجلا واجلا . ولقد اصابني علة شديدة ولدت على ربوا في

رشدية (١) من كان النامية في رياسة الدنيا كزياد واني مسلم ومن
 كان نهاية في الفضل على الحقيقة كبعض من بحله عن ذكره في
 مثل هذا الفضل ممن يتقرب الى الله تعالى بحبه والاقتداء
 بحميد آثاره . وان اعجبت بقوة جسمك فتفكر في ان البغل
 والحصان والثور أقوى منك وأهل للأعمال . وان اعجبت
 بمخترك فاعلم ان الكلب والارنب يفوقانك في هذا الباب فمن
 المعجب المعجب اعجاب ناطق بمخلة يفوقه فيها غير الناطق
 (واعلم) ان من قدر في نفسه عيياً أو ظناً لمسا على سائر الناس
 فضلاً فينظر الى صبره عند ما يدهمه من هم أو تكة أو وجع
 أو دمل أو مصيبة فإن رأى نفسه قايلاً الصبر فليعلم ان جميع
 أهل البلاد من مخزوم وغيرهم الصابرون أفضل منه على
 تأخر طلبتهم في التميز وإن رأى نفسه صابرة فليعلم انه لم يأت
 بشي يسبق فيه على ما ذكرنا بل هو إما متأخر عنهم في ذلك
 أو مساو لهم ولا مزيد . ثم لينظر الى سيرته وعدله أو جوره

(١) قال في اللسان وهو لرشدية وقد يفتح وهو قيد زنية وفي

الحديث من ادعى ودا بر رشدية فلا يرث ولا يورث: يقال هذا ولد
 رشدية اذ كان شكا ححيح كما يقال في صده ولد زينة بالكسر مبهما
 ويقال بالفتح وهو افصح العتير

ان الذي اعجبت به من ذللت داخل في الميب والخزي والمصار
 والشار لا في الاعجاب . فان اعجبت بولادة الفلاء اياك فما
 اخلا بدك من فضيلهم ان لم تكن أنت فاضلاً . وما أقل غناهم
 عنك في الدنيا والآخرة ان لم تكن محسناً . والناس كلهم
 أولاد آدم الذي خلقه الله بيده وأسحكه جنته واسجد له
 ملائكته ولكن ما أقل نعمه لهم وفيهم كل عيب وكل فاق
 وكل كافر واذ فكر الماقل في ان فضل آياته لا تقربه من ربه
 تعالى ولا يكسبه وجاهة لم يزهها هو بسعده أو بفضله في
 نفسه ولا ماله فأي معنى للاعجاب بما لا منعمة فيه وهما
 المعجب بذلك الا للمعجب بما لا جاره وبجاه غيره وبفرس لغيره
 سبق كان على رأسه لجامة كما تقول المنة في أمثالها: كالنبي
 يزهي بذكاه آية . فان تمدى بك المعجب الى الامتداس فقد
 تضاعف سقوطك لانه قد عبر عقلك عن مفاخرة ما نيك من
 المعجب هذا ان امتدحت بحق فكيف ان امتدحت بالكذب
 وقد كان ابن نوح وابو ابراهيم وابو لحب عم النبي صلى الله
 عليه وسلم أقرب الناس من افضل خلق الله تعالى وممن الشرف
 كله في اتباعهم فما انتصوا بذلك . وقد كان في من ولد لغير

فيما خوله الله من نعمة أو مال أو خول أو اتباع أو صحة أو جاه
 فإن وجد نفسه مقصرة فيما يلزمه من الشكر لواهبه تعالى
 ووجدها حاضرة في المعدل فاعلم أن أهل المعدل والشكر والسيرة
 الحسنة من الخوئين أكثر مما هو فيه أفضل منه . فإن رأى
 نفسه ملتزمة للمعدل فالعادل بعيد عن المعجب البتة لعل
 بخوازين الأشياء ومقادير الاخلاق وانزاهة التوسط الذي
 هو الاعتدال من الطرفين المذمومين . فإن أعجب فلم يعدل
 بل قد مال الى جنبه (١) لا فرط المذمومة (واعلم) أن التمسك
 وسوء الملكة لمن خولك الله تعالى أمره من رقيق أو رعية
 يدلان على خساسة النفس ودناءة الهمة وضعف العقل لأن
 الماقل الرقيق النفس العالي الهمة إنما يغلب أكفاه في القوة
 ونظراؤه في النعمة . وما الاستطالة على من لا يمكنه الممارسة
 فسقوط في الطمع ورذلة في الخلق وعجز ومهانة ومن فعل
 ذلك فهو بمنزلة من يتبع قتل جرذ (٢) أو يقتل برغوث أو
 يفرك قلة وحبك بهذا ضعة وخساسة (واعلم) أن رياضة
 الأنفس أصعب من رياضة الأسد لأن الأسد إذا سجن
 (١) أي الى ناحيته وجانبه (٢) الجرذ كسر وضرب من المار

في البيوت التي يتخذ لها الملوك أمن شرها والنفس وإن سجن
 لم يؤمن شرها . (المعجب) أصل يتفرع عنه التيه ولزهر
 والكبر والخوة والتعالى وهذه أسماء وقعة على معان متقاربة
 ولذلك صمب الطرق بينها على كثير الناس . فقد يكون المعجب
 لتفضيلة في المعجب ظاهرة . فمن معجب بعلمه فيكفر
 ويتعاق على الناس . ومن معجب بعلمه فيترفع ويتعالى .
 ومن معجب برأيه فيزهو (١) على غيره . ومن معجب بنفسه
 فيتبه . ومن معجب بمجاهه وعلو حاله فيتكبر ويتعنى . وأقل
 مراتب المعجب أن تراه يتوقر عن الضحك في مواضع وعن
 خفة لحركات وعن الكلام الا فيما لا بد له منه من امور دينيه
 وعيب هذا أقل من عيب غيره . ولو فعل هذه الأفاعيل على
 سبيل الاقتصاد على الواجبات وترك الفضول لكان ذلك
 فضلا وموجبا لخدمه والكرن انما يفعلون ذلك احتقارا للناس
 واعجابا بانفسهم فحصل لهم بذلك استحقاق الذم . وانما الاعمال
 بالنيات ولكل مربي مانوى . حتى إذا اراد الامر ولم يكن

(١) هذا العمل لم يتكلم به العرب الا بصحوا لا إلا ما حكى عن بر

الذي فيه. أوله شيء من فروسية فهو يقدر أنه يهزم علياً ويأسر الزبير ويقتل خالداً. أوله شيء من جاء ودخل فهو لا يرى الاسكندر على حال. أو يكون قويا على أن يكسب ما يتوفر بيده. أو مل بفضل (١) عن قوته فلو أخذ بقرني الشمس لم يزد على ما هو فيه وليس يكثر العجب من هؤلاء. وإن كانوا عجباً لكن ممن لاحظ له من علم أصلاً ولا نسب البتة ولا مال ولا جاه ولا نجدة بل زعم في كهانة غيره. بهتضماً للكل من له أدنى طاعة وهو يعلم أنه خال من كل ذلك وأنه لا يحفظ له في شيء من ذلك ثم هو مع ذلك في حاله المزهو التباه. ولقد نسبت إلى - وقال بعضهم في رفق ولين عن سبب علو نفسه واحتقاره الناس. فما وجدت عنده مزبداً على أن قال لي أنا حر لست عبداً حراً. فقلت له أكثر من ترأه يشاركك في هذه الهذلية فهم أحرار مثلك الأقوام من العبيد هم أطول منك بدا وأمرهم نافذ عليك وعلى كثير من الأحرار فلم أجد عنده زيادة فرجعت إلى تفتيش أحوالهم ومراجعاتها فافكرت في

(١) كذا الأصل ولعل الصواب مؤملاً أن الفضل حدث عن

قوته الخ

هناك تميز يحجب عن توفية العجب حقه ولا عقل جيد. حدث من ذلك ظهور الاستخفاف بالناس واحتقارهم بالكلام وفي المعاملة حتى إذا أراد ذلك وضمف التميز والعقل ترقى ذلك إلى الاستطالة على الناس بالأيدي واللسان والتحكم والظلم والفضيلان واقتضاء الطاعة لنفسه والخضوع لها إن أمكنه ذلك. فإن لم يقدر على ذلك امتدح بلسانه وقصر على ذم الناس والاستهزاء بهم. وقد يكون العجب لغير معنى ولغير فضيلة في العجب وهذا من عجيب ما يقع في هذا الباب وهو شيء بهيه عامتنا التميز وكثيراً ما رآه في النساء وفيمن عقله قريب من عقولهن من الرجال. وهو عجب من ليس فيه خصلة أصلاً لا علم ولا شجاعة ولا علو حال ولا نسب رفيع ولا مال يطعمه وهو يعلم مع ذلك أنه صفر من ذلك كله لأن هذه الأمور لا يغلط فيها من يقذف بالحجارة وإنما يغلط فيها من له أدنى حظ منها فربما يتوهم أن كان ضيف القمل أنه قد بلغ النهاية القصوى منها. كمن له حظ من علم فهو يظن أنه عالم كامل. ولكن له نسب معروف في ظلمة ويجدهم لم يكونوا أيضاً رفقاء في طلبهم فتجده لو كان ابن فرعون ذي الأوتاد مازداً على إعجابه

فانه يتوهم حينئذ ان كان ضعيف لتمييز انه على الدرجة فيه
ودواء من ذكرنا الدمر والجنول ولا دواء لهم اتجم منه والا
فدأؤهم وضررهم على الناس عظيم جداً فلا نجد لهم الا عيابين
للناس ووقاعين في الاعراض مستترين بالجميع عجائبي
للحقائق مكبين على القبول ورب كانوا مع ذلك متعريضين
للمشاة والمهارة ورعى فسدوا الملاحظة والمضاربة عند
أدنى سبب يعرض لهم . وقد يكون العجب كينافى
المرء حتى اذا حصل على ادنى مال اوجاه ظهر ذلك عليه
وعجز عقله عن فهمه وستره . ومن ظريف ما رأيت في بعض
اهل الضمف ان منهم من يخلبه ما يضر من عجة ولده الصغير
وامرئته حتى يصفها بالعاقل في التحافل وحتى نه يقول هي
عقل منى وانا تبرك بوصيتها . ولما مدحه اباهما بالجمال
والحسن والماوية فكثير في اهل الضمف جد حتى كانه لو كان
خاطبها ما زاد على ما يقول في ترغيب السامع في وصفها ولا
يكون هذا الا في ضيف العقل عار من العجب بنفسه (العاقل)
من لا يفارق ما اوجبه تميزه من بديع ما يقع في الحسد قول الحاسد
اذا سمع انسانا يعرب في علم ما هذا شيء بارد اذ لم يتقدم اليه

ذلك سنين لاعلم السبب الباعث لهم على هذا العجب الذي
لاسبب لهم فلم ازل اختلف ما تطوي عليه قلوبهم بما يبدو من
أحوالهم ومن سرهم في كلامهم فاستقر امرهم على اهم
يقدرون ان عندهم فضل عقل وتميز رأي اصيل لو أمكنهم
الايام من نصريفه لو جدوا فيه تسماء ولا داروا المالك الرفيعة
ولبان فضلهم على سائر الناس ولو لم يكونوا مالا لاحتوا نصريفه
فن ما هنا تسرب اليه اليهم وسرى العجب فيهم وهذا مكان
فيه للكلام . شغب عجيب ومعارضة معترضة وهو انه ليس شيء
من الفضائل كان المرء من انرى قوته في انه استولى عليه
واستمر يقينه في انه قد كل فيه الا العقل والتميز حتى انك تجد
الجنون المطبق والذكر ان الطامع يستغران بالصحيح . والجاهل
الناقص يهزأ بالحكيم . وافاضل العلماء . والصبيان الصغار يتكلمون
بالكحول والسفهاء الميارين يستخفون بالعقلاء المتصاوين وضمة
النساء يستنقصن عقول اكابر الرجال وآراءهم وبالجملة فكلام ناقص
العقل توهم صاحبه انه أوفر الناس عقلاً وأكمل تمييزاً ولا
يعرض هذا في سائر الفضائل فان العاري منها جملة يدري انه
عار منها وانما يدخل الغلط على من له أدنى حظ منها وان قل

المعابة والاعتذار فانه يحسن تعديد لا يادي وذكر الاحسان
وذلك ساية التصحيح في ماعداها تين الحائتين . لا عيب على من مال
بطبعه لي بعض القبايح ولو انه اشد العيوب واعظم الرذائل ما لم يظهره
يقول و فقل بل يكاد يكون احدهم من اعانه طبعه على الفضائل
ولا تكون معابة الطبع الفاسد الا عن قوة عقل فاضل (الحيانة)
في احرم اشد من الحيانة في الدماء . المرض اعز على الكريم
من المال . ينبغي للكريم ان يصون جسمه غاله ويصون نفسه
بحسبه ويصون عرضه بنفسه ويصون دينه بعرضه ولا يصون
بدنه شيئا اصلا . الحيانة في الاعراض اشد من الحيانة في
الاموال . وبرهان ذلك انه لا يكاد يوجد من لا يخون في
المرض وان قل ذلك منه وكان من اهل الفضل . واما
الحيانة في الاموال وان قلت او كثرت فلا تكون الا من
رذل بعيد عن الفضل . القياس في احوال الناس قد يكذب
في اكثر الامور ويبطل في الاغلب واستعمال ما هذه صفته
في الدين لا يجوز . المثلد رض ان يفبن عقله ولعله مع ذلك
يستعظم ان يفبن في ماله فيخطئ في الوجهين معا . لا به لا يكره
التفنن في ماله ويستعظمه الا لليم الطبع دقيق الهمة ميهن
(مدونة النفوس)

ولا قاله قبله احد فان سمع من بين ما قد قاله غيره قال هذا
بارد وقد قيل قبله . وهذه طائفة سوء قد نصبت انفسها
للقعود على طريق العلم يصدون الناس عنها اكثر نظر انهم من
الجهال . ان الحكيم لا تنفقه حكمته عند الخبيث الطبع بل
يظنه خبيثا . مثله وقد شاهدت اقواما ذوي طبائع ردية وقد
تصور في نفوسهم الخبيثة ان الناس كلهم على مثل طبائهم
لا يصدقون اصلا بان احدا هو سالم من رذلتهم بوجه من
الوجوه وهذا اسوء ما يكون من فساد الطبع والبعد عن
الفضل والخير ومن كانت هذه صفته لا ترجاه معاملة ابدا
وبالله تعالى التوفيق (العدل) حصن يلج اليه كل حائف
وذلك انك ترى الظالم وغير الظالم اذا راي من يريد ظلمه دعا
الى العدل وانكر الظلم حيث ذمه ولا يري احدا يذم من
العدل فمن كان العدل في طبعه فهو ساكن في ذلك الحصن
الحصين (الاستهانة) نوع من انواع الخيانة اذ قد يخونك من
لا يستهين بك ومن استهان بك فقد خانك لا تصاف . فكل
مستهين خائن . وليس كل خائن مستهينا . لا استهانة بالمتاع
دليل بر ب المتاع . حالان يحسن فيهما ما يبيع في غيرهما وهما

النفس . من جهل معرفة الفضائل فليعتمد على ما أمره الله
ورسوله صلى الله عليه وسلم فإنه يحتوي على جميع الفضائل
(رب) يخوف كان التعرز منه سبب وقوعه . رب سر كانت
المبالغة في طيه سبب انتشاره . ورب إعراض أبله في الاستراية
من ادامة النظر . وصل ذلك كله الافراط الخارج عن حد
الاعتدال (الفضيلة) وسبطة بين الافراط والتفريط فكلا
الطرفين مدموم والفضيلة بينهما حاشى العقل فإنه لا فراط فيه
انططا في الحزم خير من الخطا في التضيق . من المعائب ان
الفضائل مستحسنة ومستثقلة والردائل مستقبحه ومستخفة
من اراد الانصاف فليتوهم نفسه مكان خصمه فإنه يلوح له
وجه نفسه . حد الحزم معرفة الصديق من العدو . وغاية الخرق
والضعف جهل العدو من الصديق . لا تسلم عدوك لظن ولا
تظلمه وساو في ذلك بينه وبين الصديق وتخفظ منه وإياك
وتقريبه واعلاء قدره فان هذا من فعل اللوكي . من ساوى
بين عدوه وصديقه في التقريب والرفقة فلم يزد على ان يهد
الناس في مودته وسهل عليهم عداوته ولم يزد على استخفاف
عدوه له وتمكنه من مقاتله وافساد صديقه على نفسه والحاقه

بجملة أعدائه (غاية الخير) ان يسلم عدوك من ظلمك ومن
تركك ايام للظلم وأما تقريبه فمن شيم النوكي الذين قرب منهم
الثأف . وغاية الشر ان يسلم صديقك من ظلمك وأما إبعاده
فمن فعل من لا عقل له ومن كتب عليه الشقاء . ليس الحلم
تقريب الاعداء ولكنه مسالمتهم مع التحفظ منهم . (قلنا) رأيت
أمرا أمكن فضيع إلا وفات فلم يمكن بعد . نحن الانسان في
دمره كثيرة واعظما محته باهل نوعه من الانس . داه
الانسان بالناس أعظم من داهه بالسباع الكلبة والافاعي
الضارية لان التحفظ من كل ما ذكرنا ممكن ولا يمكن التحفظ
من الانس أصلا (الثالب) على الناس : النفاق ومن المعجب
انه لا يجوز مع ذلك عندهم الا من تافههم . لو قال قائل في
الطبايع مزينة لان أطراف الأعداء تلتق لم يبعد من الصدق
وقد نجد نتائج الأعداء تتساوى فنجد المرء يبي من القرح
ومن الحزن . ونجد فرط المودة يلتقى مع فرط البغضة في تتبع
المرات . وقد يكون ذلك سببا للتقطيع عند عدم الصبر والانصاف
كل من غلبت عليه طبيعة ما فإنه وان بلغ الغاية من الحزم
والحذر فإنه مصروع اذا كويده من قبلها . كثرة المراتب تعلم

ودليل ذلك ان الفقر يستعجل ليطرد به الخوف فيبدل المرء ماله كله ليامن . والخوف والفقر يستعجلان ليطرد بهما المرض فيقرر الانسان في طلب الصحة ويبذل ماله فيها اذا شفق من الموت ويمود عند يقينه به لو بذل ماله كله ويسلم ويثبت والخوف يستعجل ليطرد به الهم فيقرر المرء بنفسه ليطرد الهم واشد الناس كلها انما وجع ملازم في عضوماً بعينه . وما النفوس الكريمة فالدال عندها شد من كل ماذ كرنا وهو اسهل المخوفات عند ذوي النفوس الاثية

فصل في

من غرائب اخلاق النفس ينبي للماقل ان لا يحكم بما يبدو له من ستر حام الباك المتظلم وتشكيه وشدة تلو به وتقلبه فقد وقتت من بعض من يفعل هذا على يقين انه الظالم المنعدي المفرط الظلم ورايت بعض المظلومين ساكن الكلام معدوم التشكي مظهر آفة المبالاة فيسبق الى نفس من لا يحقق النظر انه ظالم وهذا مكان ينبي التثبت فيه ومغالبة ميل النفس جملة وان لا يميل المرء مع الصفة التي ذكرنا ولا عليها ولكن يقصد الانصاف بما يوجه الحق على السواء (من عجائب الاخلاق

صاحبها الكذب لكثرة ضرورته الى الاعتذار بالكذب فيضري عليه ويستسلمه . اعدل الشهود على المطبوع على الصدق . وجهة ظهور الاستربة عليه ان وقع في كذبة او هم بها . واعدل الشهود على الكذاب . لسانه لا تضطربه وتفض بعض كلامه بعضا . المصيبة في الصديق الناكث اعظم من المصيبة به (اشد الناس) استبالاً للميوب بلبنه هو اشد هم استبالاً لها بفعله وتبين ذلك في مشافهات اهل البيداء ومشاتات الارذل البالغين غاية الرذالة من الصناعات الخبيثة من الرجال والنساء كاهل التعيش بالزمر وكنس الحشوش وخادمين في حجازر وكساكني دور اجل المباحة لكراء الجماعات والساسة للدواب . فان كل من ذكرنا اشد اخلاق روميا من بعضهم لبعض القبايح واكثرهم عيبا بالقضائح وهم اوغل الناس فيها واشهرهم بها (اللقاء) يذهب السخام فكان نظر العين للعين يصلح القلوب . فلا يسؤك التقاء صدقك بعدوك فان ذلك يفتقر امره عنده (اشد الاشياء) على الناس الخوف واهم والمرض والفقر . واشدها كلها ابلاها للنفس الهم للفقر من المحبوب . وتوقع المكروه . ثم الخوف . ثم الفقر .

السبية لردية . فلما كانت ماذكرنا يبيع كان ضده محمودا وهو استيطان الجزع لما في ذلك من الرحمة ولطفه والقهم لقدر الرزية فصيح بهذا . ان الاعتدال هو : ان يكون المرء جزوع النفس صبور الجسد بمعنى انه لا يظهر في وجهه ولا في جوارحه شيء من دلائل الجزع والله التوفيق . لو علم ذو الرأي الفاسد ما استقر به من فساد تديره في السالف لا ينجح بتركه استعماله فيما يتنافى

فصل في مطلق النفس الى ما يستتر عنها من كلام مسموع
أوشي يدني الى المدح وبقاء الذكر

هذان أمران لا يكاد يعلم منهما أحد الا ساقط المهمة جد أو من رضى نفسه بالرياضة التامة وقمع قوة نفسه الغضبية قما كاملا أو على مداوة شره النفس الى سماع كلام يستر به عنها اورؤية شيء اكتتم به دون ذلك . ففكر فيما غاب عنها من هذا النوع في غير موضعه الذي هو فيه بل في أقطار الارض المتباعدة فان اهتم بكل ذلك فهو مجنون تام الجنون عديم عقل البتة . وإن لم يهتم لذلك فهل هذا الذي اختلف به عنه الا ككسائر ما غاب عنه منه سواء ولا فرق . ثم لنزد احتجابا على هواء

ان الغفلة مدمومة وان استعالمها محمود ونما ذلك لان من هو مطبوع على الغفلة يستعالمها في غير موضعها وفي حيث يجب التحفظ وهي مفيب عن فهم الحقيقة فدخلت تحت الجبل فدمت لذلك . وأما المتيقظ الطبع فانه لا يضيع الغفلة الا في موضعها الذي يدم فيه البحث والتقصي ويمدح التفاضل فهما للحقيقة واضربا عن الطيش واستملا للحلم وتكينا للكرم . فلذلك حدثت حالة التفاضل ودمت الغفلة . وكذلك القول في اظهار الجزع وبطائه وفي اظهار العبر وبطائه فان اظهار الجزع عند حلول المصائب مدموم لانه عاجز مغرر عن ملك نفسه فاظهر أمرا لا فائدة فيه بل هو مدموم في الشريعة وقاطعه عما يلزم من الاعمال وعن التأهب لما يتوقع حلوله مما له اشنع من الامر الواقع الذي عنه حدثت الجزع . فلما كان اظهار الجزع مذموما كان اظهار ضده محمودا وهو اظهار الصبر لانه ملك للنفس وطراح لما لا فائدة فيه وقبال على ما يعود وينتم به في الحال وفي المتأفف وأما استيطان الصبر فدموم لانه ضعف في الحس وقسوة في النفس وقلة رحمة . وهذه الاخلاق سوء لا تكون الا في أهل الشر وخبث الطبيعة وفي النفوس

الفضلاء الصالحين من أصحاب الانبياء السابقين ومن الفلاسفة
والعلماء والاخيار وملوك الأمم الدائرة وبناة المدن الخيرية
وتابع الملوك أيضاً الذين قد انقطعت أخبارهم ولم يبق لهم عند
أحد علم ولا لأحد بهم معرفة أصلاً البتة . فهل ضرر من كان
فاضلاً منهم ذلك أو نقص من فضائلهم أو طمس من محاسنهم
أو حط درجتهم عند بارئهم عن وجل . ومن جهل بهذا
الامر فليعلم انه ليس في شيء من الدنيا خبر عن ملوك من
ملوك الاجيال السالفة أبعد مما بأيدي الناس من تاريخ ملوك
بني اسرائيل فقط . ثم ما يبدنا من تاريخ ملوك اليونان والفرس
وكذلك لا يتجاوز التي عام فابن ذكر من عمر الدنيا قبل هـ ولا
أيس قد در وفي وانقطع ونسى البتة . وكذلك قال الله تعالى
ورسلاً لم نقصصهم عليك . وقال تعالى وقرونا بين ذلك كثيراً
وقال تعالى ولدين من بعدهم لا يعلمهم . لا الله) فهل الانسان
وان ذكر برهة من الدهر الا كن خلا قبل من لائم الفارورة
الدين ذكر وانهم نسوا جملة . ثم ليتذكر الانسان في من ذكر
يخبر أو بشر هل يزيد ذلك عند الله عز وجل درجة أو
يكسبه فضيلة . لا يكن حازها بفعله . أيام حياته فاذا كان هذا

فليقل بلسان عقله لنفسه يا نفس ارايت ان لم تعلمي ان ههنا
شيئاً اخفى عليك كنت تظلمين في معرفة ذلك فلا بد من لا
فليقل لنفسه فكوني الآن كما كنت تكونين لو لم تعلمي
بان ههنا شيئاً ستر عنك فتريحي الراحة وتطردى الهم وألم القلب
وتفصح صفة الشر وتلك غنائم كثيرة وأرباح جارية وأعراض
فاضنة سنية يرغب العاقل فيها ولا يزهد فيها الا نام النقص .
وأما من علق وحمه وفكره بان يبعد اسمه في البلاد ويبقى
ذكره على الدهر فليتكفر في نفسه وليقل لها يا نفس ارايت
لو ذكرت بافضل الذكر في جميع اقطار المعمور ابد الابد الى
انقضاء الدهر ثم لم تبقي ذلك ولا عرفت به . كان في ذلك
سرور او غبطة أم لا ولا بد من لا وسيل الى غيرها البتة
فاذا صح ذلك وتيقن فليقل بقينا انه اذا مات ولا سبيل له الى
علم انه يذكر أو انه لا يذكر وكذلك وان كان حياً اذا لم يبلغه
ثم ليتذكر أيضاً في معنيين عظيمين (أحدهما) كثرة من
خلا من الفضلاء من الانبياء ورسل صلى الله عليهم وسلم
أولا الدين لم يبق على أديم الارض لهم عند أحد من الناس
اسم ولا رسم ولا خبر ولا أثر بوجه من الوجوه . ثم من

الذين بهما استأهنا ان يخاطبنا وسخر لنا مافي السموات وما
 في الارض من الكواكب والمناصر ثم تفضل علينا من خلقه
 شيئاً غير الملائكة المقربين الذين هم عمار السموات فقط
 فابن نعم نعم النعمين من هذه النعم . فمن قدر ان يشكر محسنا
 اليه بمساعدته على باطل وبمحاباته فيما لا يجوز فقد كفر نعمة
 عظم النعمين وجعله احسان اجل المحنين اليه ولم يشكروني
 الشكر حقاً ولا حمد اهل الحمد صلاحاً وهو الله عز وجل . ومن
 حال بين المحسن اليه وبين الباطل وقامه على مرت الحق فقد
 شكره حقاً وادي واجب حقه عليه مستوفي والله الحمد اولاً
 واخراً على كل حال (في حضور مجالس العلم) اذا حضرت
 مجلس العلم فلا يكن حضورك الاحضور مستزيد علماً واجراً
 لاحضور مستغن بما عندك طالاً عثرة تشمها او غريبة تشمها
 فهذه افعال لا رذل للذين لا يفعلون في العلم ابد . فاذا
 حصرتها على هذه النية فقد حصلت خير على كل حال . وان
 لم تحضر على هذه النية بخلوسك في منزلك اروج لبدنك
 واكرم خلقك واسلم لدينك . فاذا حضرتها كما ذكرنا فالتزم
 احد ثلاثة اوجه لاربع لها وهي : ما ان تسكت سكوت

كما قلناه فالرغبة في الذكر رغبة غرور ولا معنى له ولا فائدة
 فيه اصلاً لكن انما ينبغي ان يرغب الانسان في الاستكثار
 من الفضائل واعمال البر التي يستحق من هي فيه الذكر الجليل
 والثناء الحسن والمدح وحيد الصفة فهي التي تقربه من بارئه
 تعالى وتجمله مذكورا عده عز وجل الذكر الذي ينفعه
 ويحصل على بقاء فائدته ولا يبدأ بالابد وبالله تعالى التوفيق
 (شكر المنم فرض واجب) ونما ذلك بالمقارنة له بتل
 ما احسن فاكثرتهم بالثبتم باموره بحسن الدفاع عنه . ثم بالوفاء
 له حياً وميتاً ولن يتصل به من ساقه واهل كذلك . ثم بالتخاذي
 على وده ونصيحته ونشر محاسنه بالصدق وحلي مساويه
 مادمت حياً وتورث ذلك عقبك واهل وذك . وليس من
 الشكر عونك على الآثام وترك نصيحتك فيها يتونه به دينه
 ودينه بل من عاون من احسن اليه على باطل فقد غشه وكفر
 احسانه وظلمه وجعله النمامه وايضاً فان احسان الله تعالى
 وانعامه على كل حال اعظم واقدم واهنا من نعمة كل منم
 دونه عز وجل فهو تعالى الذي شق لنا الابصار الناظرة وفتق فينا
 الآذان السامعة ومنعنا الحواس الفاضلة ورزقنا النطق ولتميز

من يريد حفظ نفسه في فهم ماسع ورأى فالتزم به علماء قبوله
ان كان حنفاً. أوردته ان كان خطأ فمضون لك ان فعلت ذلك
الاجر لجزيل والحمد الكثير والفضل العظيم (فرض) على
الناس تعلم خير والعمل به فن جمع لأميرين استوفى الفضائل
وما ومن علمه ولم يعمل به فقد أحسن في التعليم وساء في ترك
العمل به تخطت عملاً صالحاً وآخر سيئاً وهو خير من آخر لم
يعلمه ولم يعمل به. وهذا الذي لا خير فيه. مثال حالاً وقل ذماً من
آخر ينهى عن تعلم الخير ويصد عنه. ولولم يبه عن الشر الا
من ليس فيه منه شيء ولا أمر بالخير. الا من استوعبه لما نهى
أحد عن شر ولا أمر بخير بعد النبي صلى الله عليه وسلم.
وحبك بمن أدى ربه الى هذا فساداً وسوء طبع وذم حال

وبالله تعالى التوفيق

تم الكتاب والحمد لله وحده وصلاته وسلامه

على افضل خلقه سيدنا محمد وعلى

اله وصحبه وعترته

الطاهرين أبداً

الى يوم الدين

الجهال فتحصل على أجر النية في المشاهدة وعلى الثناء عليك
بقلة الفضول وعلى كرم المجالسة وودعة من مجالس. فان
تفعل ذلك فاشل سؤال المتم فتحصل على هذه الاربعة محاسن
وعلى خامسة وهي سترادة العلم. وصفة سؤال المعلم ان تسأل عما
لا تدري فالت سؤال عما تدري مغف وقلة عقل وشغل
لكلامك وقصع لزمانك بم لا فائدة فيه لالك ولا لغيرك
وربما أدى الى اكتساب المداوات وهو بعد عين الفضول.
وبيك من ان تراجع مراجعة العالم. وصفة ذلك: ان تمارض
جوابه بما يتخذه نقضاً بياناً. فان لم يكن ذلك عندك ولم يكن
عندك الا تكرار قولك أو المعارضة بما لا يراه خصمك معارضة
فأمسك. فالتك لا تحصل بتكرار ذلك على أجر زائد ولا على
تعليم ولا تعلم بل على التمييز لك وخلصمك والمداوة التي ربما
أدت الى المضرات. وحسبنا الله ونعم الوكيل. وإذا ورد
عائك خطاب بلسان أو هجمت على كلام في كتاب فإياك ان
تقابلة بمقابلة المناضبة الباعثة على المبالغة قبل ان تبين بطلانه
ببرهان قاطع. وأيضاً فلا تقبل عليه اقبال المصدق به المستحسن
إياه قبل علمك فتظلم في كلام الوجهين جميعاً ولكن اقبال من







